الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّة

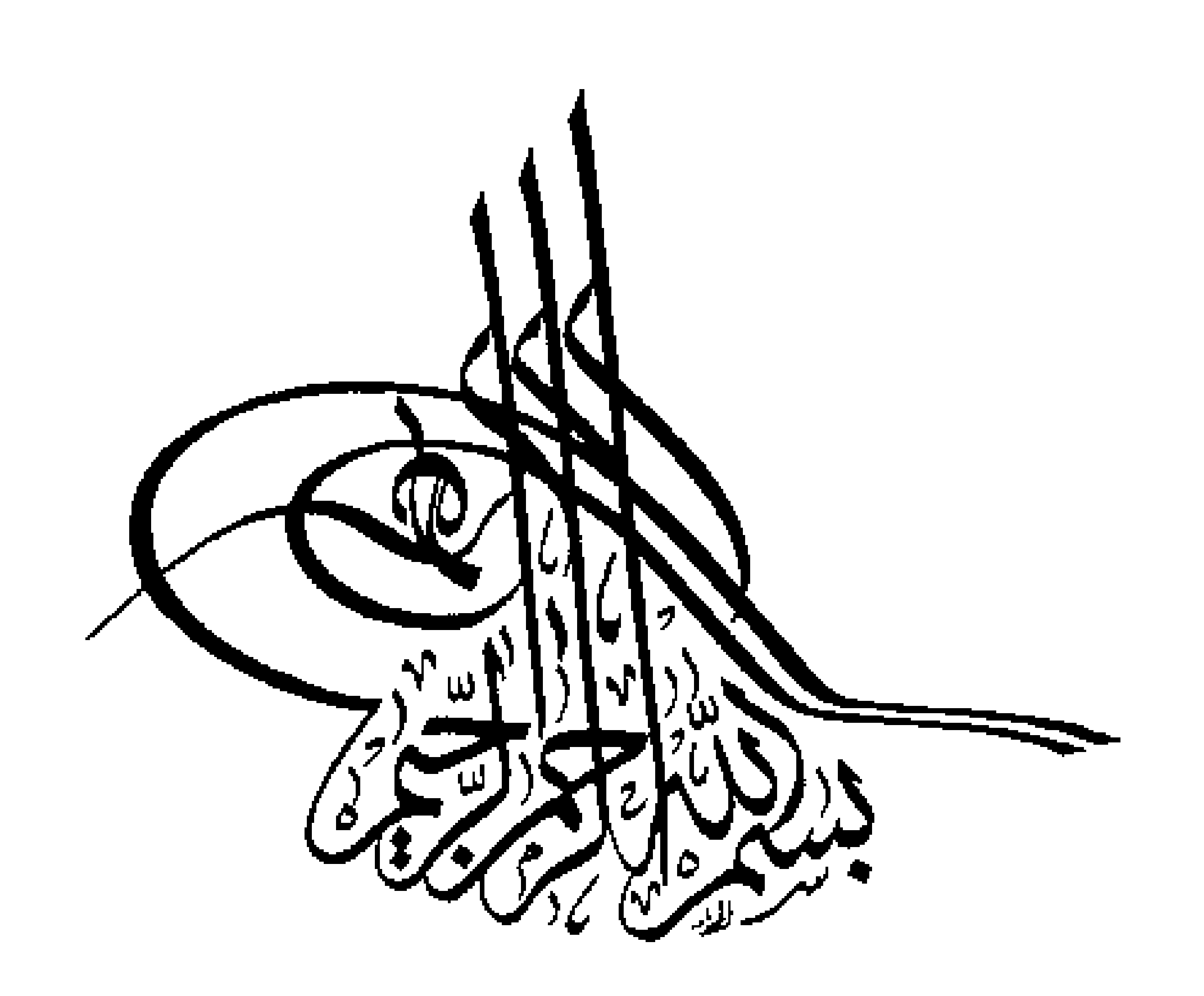
أمِ

الفلسِفَة الأفلوطينيَّة

تأليف
عَائِض بن سَعْد الدُوسَرِي

المكتب الاسلامي

الحقيقة المحمدية
أم
الفلسفة الأفلوطينية


بسم الله الرحمن الرحيم

الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّة

أم

الفَلسَفَةُ الأفلُوطِينيَّة

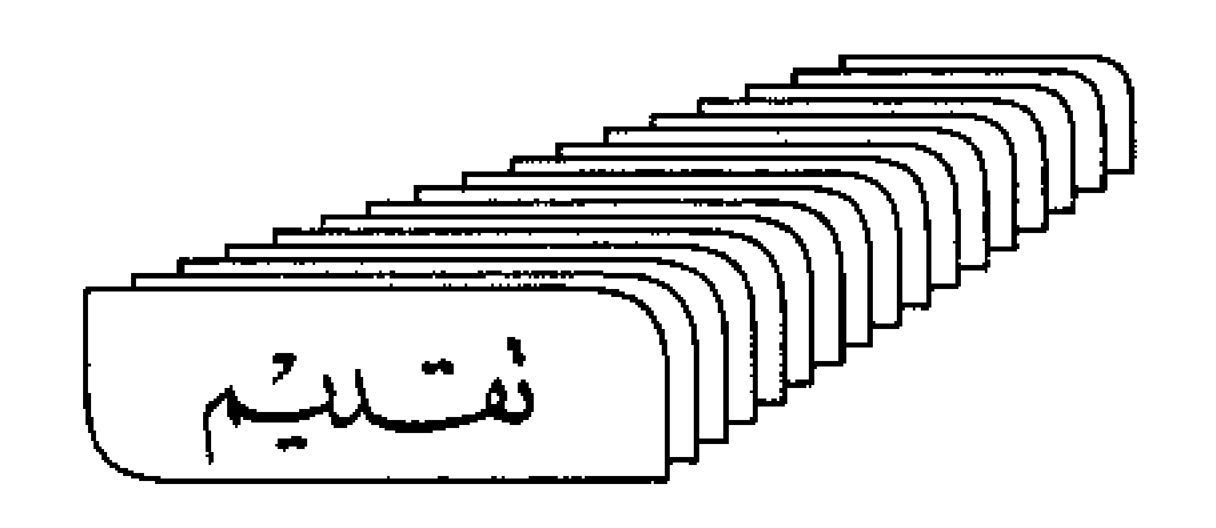
عَائِضُ بن سَعْد الدُّوسَرِي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن سلك سبيلَه، واهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدِّين[١].

أما بعد:

فلقد بدأ الدين الإسلامي من منابعه الأولىٰ ـ القرآن الكريم، والسنة المطهرة ـ صافياً مشرقاً، وقد تلقاه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كما جاءهم، فكساهم صفاءً وطهارةً وإشراقاً، وحافظوا عليه كما تلقوه، ونقلوه إلىٰ الجيل التالي كما هو بصفائه ونقائه، وهكذا تلقاه جيل التابعون بإحسان، كابراً عن كابر، ينفون عنه انتحال المبطلين، وتحريف المفسدين، وتأويل المتهوكين، وزيادة

---

(١) تكرم بالنظر إلىٰ رسالة «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

الغلاة، أخذه ذلك الجيل المبارك صافياً وأودعه لمن بعدهم صافياً رقراقاً نقياً.

وبعد ذلك الجيل الطاهر المبارك، خلف ـ من بعدهم ـ خلفٌ أضاعوا الكتاب، واتبعوا الشبهات، بعد أن اختلطت في المجتمعات الإسلامية الأهواء الوافدة من علوم اليونان، والهند، والفرس، والفلسفات الأجنبية، والأفكار الدخيلة، فخلطوا كل ذلك بدين الإسلام، فتشكل عندهم، وعلىٰ أيديهم خليطٌ ظاهره الرحمة، وباطنه الزيغ والضلال والتحريف.

ومن الأفكار الدخيلة التي دخلت علىٰ كثيرٍ من طوائف المسلمين، نظرية:

النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية

والتي غُلف ظاهرها بألفاظ شرعية، مع أن حقيقتها هدم الدين، وطمس معالم الإلوهية العظيم، وإهانة مقام النبوة الكريم.

ومع أن الجيل الأول المبارك، والقدوة الحسنة ـ جيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان ـ كان خير مثال لتعظيم مقام الألوهية، ورفع منزلة النبوة، مع المحبة لرسول الله الأعظم ﷺ.

إلا أن هذا الجيل لم يعرف تلك النظرية الفلسفية الأجنبية، لا لفظاً ولا معنىٰ، بل كلامهم وعملهم يحاربها وينقضها من أصولها.

ولكن لما خلف من بعدهم خلفٌ تركوا الاقتداء

بهم، وجعلوا منهج الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ خلفهم ظهرياً، واستفتحوا علىٰ مناهج اليونان والهند والفرس، واتخذوا منهم قدوة ومنهلاً، يستقون مما عندهم عقيدتهم وإيمانهم، فجاءت تلك النظريات الفاسدة والباطلة، والتي سموها: **(الحقيقة المحمدية)** إمعاناً في التلبيس والتضليل، وإلا فحقها أن تُسمىٰ: **(الأباطيل الإبليسية)**.

وقد انطلت تلك العقائد الباطنية الوفادة، علىٰ بعض الزهاد والدراويش ـ من متأخري الصوفية، ـ الذين قصد كثير منهم تعظيم مقام النبي ﷺ، ولم يعلموا أن حقيقة تلك العقيدة مضادة لمحبته ﷺ، ومخالفة لدينه، وهابطة لمقامه الرفيع، لأن ما يُعرف عند غلاة الصوفية وغيرهم بـ**(النور المحمدي)** يضمن أموراً خطيرة للغاية علىٰ العقيدة الإسلامية، كما أنَّ حقيقة هذه النظرية إساءةٌ بالغة لمقام النبي ﷺ.

وأصحاب هذه النظرية الفلسفية الباطنية، يعتقدون أن **(النور المحمدي)** هو أول مخلوق في الوجود، ومنه انبثقت الموجودات، وهو المحيط بها وأصلها، وهو مدبر العالم ومنبعه وموجده.

ويسمونه **(العقل الأول)** تشبهاً وتقليداً لإلٰه اليونان، الذي انبثق عنه ذلك العقل.

ومن هذا الأخير انبثق الوجود، فجعلوا مقام نبينا الكريم ﷺ هو مقام ذلك العقل، فصاروا يضاهئون قول الذين كفروا من قبلهم!

ولا يخفىٰ علىٰ كل عاقل، أن تلك النظرية ليست من عقائد الإسلام؛ بل هي نظريات فلسفية يونانية وثنية، دخلت علىٰ بعض غلاة المتصوفة، بواسطة فرق الشيعة الباطنية، التي تظهر التشيع، وتبطن العقائد اليونانية والمجوسية.

وإلا فإن حب النبي ﷺ وتعظيمه وتقديره يكون باتباعه، وتعظيم شرعه، وتوقير سنته المطهرة، وتعظيم آله. وجميع صحبه، لا بانتحال عقائد المبطلين أو الوثنيين، ونسبتها للإسلام.

وهذا البحث الذي أتشرف بالتقديم له، ناقش جذور عقيدة باطنية صوفية، نشأت متأخرة، بعد أن اختلطت عقائد بعض المسلمين بروافد أجنبية، وهذه العقيدة هي ما يُعرف عند غلاة الصوفية باسم: **(الحقيقة المحمدية)** أو **(النور المحمدي)**.

وقد أورد أخي المؤلف الفاضل ـ حفظه الله ـ: الأصول العقدية والفلسفية التي استقىٰ منها الصوفية تلك العقيدة الباطلة، والمخالفة للإسلام.

حيث بيَّن أن الأصل الأول لتلك العقيدة الفاسدة، هو الفيلسوف (أفلوطين)[1] الذي شرح نظريته في الخلق،

---

(١) أفلوطين (Plotin) (٢٠٣؟ ـ ٢٧٠م):

ولد في ليكوبوليس (مصر). زاهد وصوفي وفيلسوف، تأثر =

وفق معتقده الوثني المتمثل في صدور العقل الأول عن الواحد، ومن ثم صدرت جميع المخلوقات عن ذلك العقل الأول ـ أو النور ـ ومنه فاض الوجود، عن أول موجود.

وعن الفيلسوف أفلوطين: قامت الباطنية بإدخال تلك العقيدة إلىٰ المجتمع الإسلامي، ولأجل إخفاء مصدر تلك العقيدة قامت باستبدال **الألفاظ الغريبة، بألفاظ شرعية،** لإيهام عامة الناس بأنها عقيدة إسلامية.

وهكذا أصبحت نظرية العقول الأفلوطينية في الخلق والوجود، هي نفس عقيدة الباطنية في الخلق، وصار الإمام أو النبي عند الباطنية يقوم مقام العقل الأول الأفلوطيني، وأخذ جميع صفاته ودوره التكويني.

ولتبرير هذه العقيدة الجديدة، قامت الباطنية بوضع الأحاديث علىٰ لسان النبي ﷺ، التي تؤكد وجود العقل ودوره ومكانته.

وبعد تسرب تلك العقيدة بين الباطنية تلقفها عنهم غلاة الصوفية، حيث كان الحلاج الصوفي الباطني أول

= بأفلاطون (٤٣٠ ـ ٣٤٧ق م). مؤسس المذهب الفلسفي المعروف بالأفلاطونية الجديدة. جمعت تعاليمه التي كان يمليها علىٰ تلامذته تحت عنوان «إنياذس» (Ennéades).

من أدخل مفهوم (**النور المحمدي**) إلىٰ التصوف.

ثم جاء بعده فيلسوف وحدة الوجود الصوفية محمد بن علي ابن عربي، فأخذ عن الباطنية تلك العقيدة بقضها وقضيضها، وأطنب في شرحها وبسطها في كتبه.

ثم تتابع أعلام غلاة الصوفية: كعبد الكريم الجيلي صاحب «الإنسان الكامل»، وعبد الرزاق القاشاني، شارح كلام ابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض، وبرهان الدسوقي، وابن قضيب البان الحلبي، وغيرهم كثير، ليؤكدوا تلك العقيدة تحت مسميات مختلفة، مثل:

الحقيقة المحمدية، والإنسان الكامل، وخاتم الأولياء، والقطب، وغيرها.

وقد بيّن المؤلف ومن خلال نصوص الصوفية أنفسهم: أنهم لم يتبنوا عقيدة (**النور المحمدي**) حباً وتعظيماً للنبي ﷺ، وإنما أدخلوا هذه العقيدة الفاسدة لتعظيم أنفسهم، حيث أدعو لأنفسهم أنهم هم: النور المحمدي، أو القطب، أو الإنسان الكامل، وأن علىٰ الناس، أو المريد أن يطيعهم ويؤمن بهم، كأنهم محمد صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم **بعينه**، وأن يشهد الناس بأنهم هم رسول الله ﷺ.

وهكذا، فقد أدخلوا ـ بزعمهم ـ في دين الله من الفساد والباطل العظيم ما الله عليم به، ثم زعموا أن ذلك من تعظيم النبي ﷺ.

ثم زادوا علىٰ ذلك كله، أن وضعوا الأحاديث الموضوعة والكاذبة علىٰ لسان رسول الله ﷺ لنصرة تلك العقائد الفاسدة.

وقد بيَّن الباحث الفاضل في هذا الكتاب بالأدلة والتوثيق حقيقة (**النور المحمدي**).

وكيف أُخذ في الأصل عن نظريات اليونان وخاصة (**أفلوطين**).

ثم كيف وصل إلىٰ فرقة (**الإسماعيلية**) الباطنية، وكيف تلاعبوا بألفاظه الفلسفية وغلفوها بألفاظ دينية.

ثم بعد ذلك، كيف دخلت إلىٰ عقائد غلاة الصوفية، وبيّن بجلاء أن سند هذه العقيدة الباطنية جاء عن طريق: **غلاة الصوفية ـ بجهل أكثرهم ـ وعن غلاة الباطنية بمكرهم، وعن الفيلسوف (أفلوطين)!**

وقد كتب المؤلف بحثه هذا، رداً علىٰ كتاب زعم محققه الدكتور عيسىٰ الحميري ـ هداه الله ـ:

أنه جزء مفقود من «مصنف الإمام عبد الرزاق الصنعاني»[1]، وكان سبب إخراج الحميري لهذا الجزء،

---

(١) وهو المطبوع في المكتب الإسلامي بتحقيق وتخريج الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.

هو اشتماله على حديث **النور الموضوع** وغيره من الأحاديث المكذوبة.

وبحمد الله تعالىٰ، فقد كتب مجموعة كبيرة من العلماء وطلبة العلم مبينين أن هذا الجزء المفقود موضوع مكذوب، وأفاضوا الكلام عليه من الناحية الحديثية.

ولكن التوسع في ردّه من الجانب العقدي، كان من نصيب الأخ الداعية الشيخ عائض بن سعد الدوسري، فأجاد وأفاد وأحسن الانتقاد، وكفىٰ وشفىٰ في هذا الجانب، وبيَّن بالأدلة والنقول والشهادات القاطعة: أن عقيدة (**النور المحمدي**) ليست من الإسلام في شيء، وإنما هي من العقائد الوثنية، التي أدخلتها الباطنية علىٰ المسلمين.

وبحمد الله لقيت كتابته قبولاً حسناً في الأوساط العلمية، سواء من الناحية العلمية، أو من جهة حسن العرض والاستشهاد، ومن آخرها ما أخبرني به أخي الشيخ محمد زياد التكلة: أن أخي الفاضل سماحة العلامة الشيخ محمد كريّم راجح ـ شيخ القراء في دمشق، والعالم المتطلع، وابن حيّنا الميدان ـ أخبره في شعبان ١٤٢٨هـ أنه اطلع علىٰ بحث الشيخ عائض هذا، وأشاد به كثيراً، وأعجبه.

وإنني إذ أكتب هذه الكلمات، لأدعو أخي القارئ الكريم: أن يقرأ هذا البحث إلىٰ نهايته، فهو إما علىٰ

بصيرة يزداد نوراً علىٰ نور، أو ممن اغتر وحسّن الظن بقائلي هذه المقالة، فسيرىٰ بالنقولات والشهادات الموثقة أشياء لم يكن يتصورها، عن حقيقة جذور هذه العقيدة، ومنشأها الباطني، وتحقيق أن رؤوس من دعا لهذه الأمور هم باطنية، وإنما أرادوا هدم الإسلام من الداخل، وذلك باعترافهم، وذكر أشعار رأسهم ومقدَّمهم في علاقاته مع النساء المحرّمات! ثم يقال عنه: **سلطان العارفين! والشيخ الأكبر!** ليت شعري في ماذا؟

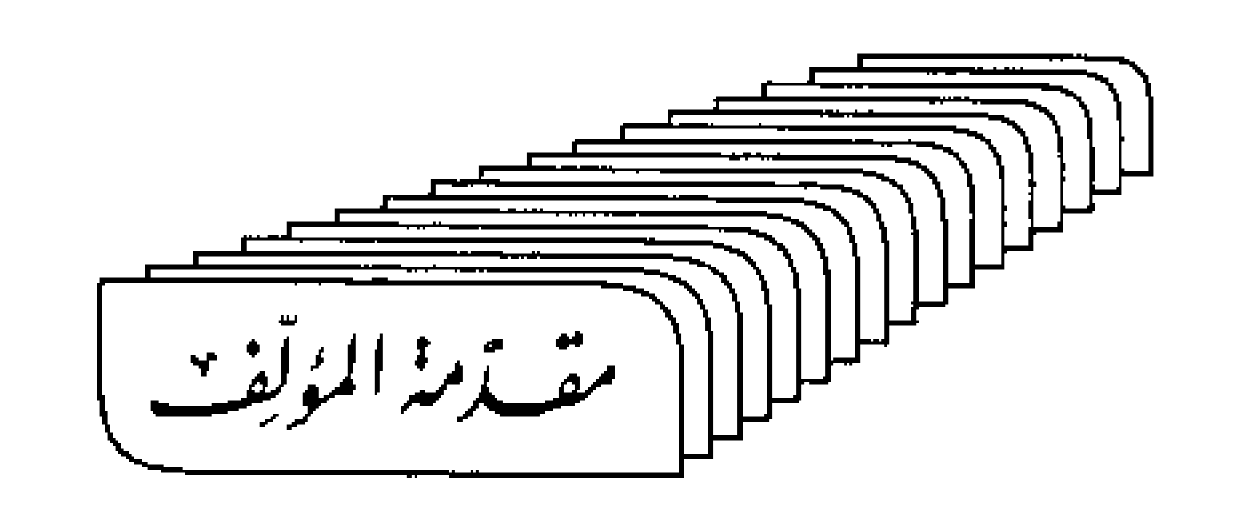
ولذلك لم يكن بحث المؤلف الفاضل الشيخ عائض مجرد تنظير وتأطير جاف، بل كان كاشفاً للعديد من الحقائق والشخصيات التي لعبت أثراً تاريخياً خطيراً في انحراف كثير من عوام المسلمين الجهّال، عن المحجة البيضاء والدين الخالص.

كما أدعو الله سبحانه وتعالى: أن يبارك لنا في علم وحياة وعافية الأخ الداعية الشيخ عائض الدوسري، وأن يزيده توفيقاً لخدمة الإسلام والسنة، ويبارك فيه وفي دعوته وكلماته الناصحة المشفقة، ومساعيه للوحدة الإسلامية، علىٰ هدي الكتاب والسنة، إنه علىٰ كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

زهير الشاويش





إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن سلك سبيلَه، واهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدِّين، أما بعد:

فقد اطلعتُ علىٰ كتابٍ بعنوان: «**الجزء المفقود من الجزء الأول من المصنف**» بتحقيق الدكتور **عيسىٰ الحميري**، وتقديم **محمود سعيد ممدوح**، وقد حُشي الكتاب بالروايات الموضوعة، والقصص الخرافيَّة، المنسوبة إلىٰ خير البريَّة محمد ﷺ[1].

أما السبب الذي دعاني لكتابة هذه الوريقات، فهو

---

(١) أقول: وأطلعتُ ـ أيضاً ـ علىٰ رد الأخ الشيخ **محمد زياد التكلة** ـ جزاه الله خيراً ـ علىٰ هذا الكتاب، وقد أجاد وأفاد ـ بارك الله فيه ـ في نقض تلك الروايات حديثياً، ولم يترك لغيره مجالاً، حيث أتم نقضه، ولم يبق لذاك الجزء المزعوم أي قيمة حديثية أو علمية.

الحادي الذي دعا الدكتور عيسىٰ الحميري ـ هداه الله ـ لإخراج مثل هذا الكتاب، حيث ذكر أن سبب نشره لهذا الجزء المزعوم هو وجود حديث (**النور المحمدي**) الذي عزاه بعض الصوفية إلىٰ عبد الرزاق، عن جابر. ومع أن هذا الحديث موضوع بلا شك، فإنه تضمن أموراً خطيرة للغاية علىٰ العقيدة الإسلامية، كما أنَّ تصور الصوفية حول هذا النور إساءةٌ بالغة لمقام النبي صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم، فعجبتُ لذلك، إذ كيف ينصر إنسان ـ يفترض به أن يكون مثقفاً ـ العقائد الفاسدة بالأحاديث الباطلة والموضوعة؟!

يقول **الحميري**: (ثبت لدينا بأن سيدنا ومولانا محمد ﷺ **أول مخلوق في العالم، أي أول روح مخلوقة،** وآدم أول شبحية مخلوقة، إذ أن آدم مظهر من مظاهره ﷺ، ولا بدّ للجوهر أن يتقدمه مظهر، فكان آدم متقدماً بالظهور في عالم التصوير والتدبير، وسيدنا محمد ﷺ مقدماً في عالم الأمر والتقدير، لأنه حقيقة الحقائق، وسراج المشارق في كل المغارب).

أقول: هذا الكلام الخطير الذي يحوي هذه العقيدة الفاسدة والباطلة ـ كما قلتُ ـ هو الذي حداني أن أكتب هذه الوريقات، انتصاراً للعقيدة الإسلامية، وذباً عن النبي ﷺ، ولبيان حقيقة ما يسمىٰ عند الصوفية وغيرهم بـ(**الحقيقة المحمدية** أو **النور المحمدي**) وأنها ليست من

عقائد الإسلام؛ بل هي نظريات فلسفية وثنية دخلت علىٰ بعض غلاة المتصوفة بواسطة فرق الشيعة الباطنية، التي تظهر الرفض، وتبطن العقائد اليونانية والمجوسية.

وحب النبي ﷺ وتعظيمه وتقديره يكون باتباعه، وتعظيم شرعه، وتوقير سنته المطهرة، فنحبه كما أمر، ونوقره كما أوصىٰ، لا أن يُكذب عليه، أو أن تُنسب إليه العقائد الفاسدة، فذلك ـ والله ـ إساءة بالغة له ﷺ، وتنقيص من حقه ومكانته، خاصة إذا كان الإنسان عالماً ومتعمداً وقاصداً ذلك.

ومن لديه معرفة بالعقائد والفلسفات اليونانية، وخاصة نظريات (**أفلوطين**) التي تفسر صدور العالَم عن المبدع الأول، والعقائد المسيحية المحرفة، وبقايا العقائد الإيرانية، ثم اطلع علىٰ عقائد فرقة (**الإسماعيلية**) الباطنية في الموضوع ذاته، ثم بعد ذلك نظر في عقائد غلاة الصوفية في ما يسمىٰ بـ(**الحقيقة المحمدية** علم علماً يقينياً أنها من مشكاة واحدة، وأن سندها الذهبي هو: **غلاة الصوفية عن غلاة الباطنية عن الشيخ اليوناني (أفلوطين)!**

ولبيان حقيقة ما يسمىٰ بـ(**الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي**) بالتفصيل والتوثيق؛ سوف أستعرض ـ بإذن الله ـ هذه الطبقات الثلاث، وكيف انتقلت هذه العقائد الوثنية إلىٰ أن استقرت عند غلاة الصوفية.

أولاً
نظرية (أفلوطين) في انبثاق الوجود عن الواحد

ما يُعرف عند الصوفية أو الباطنية بـ(**النور المحمدي**) أو (**الحقيقة المحمدية**) عبارة عن مزيج مركب من العقائد الوثنية التي تسرّبت إلىٰ المجتمعات الإسلامية بواسطة احتكاك المسلمين بغيرهم، وبأثر الترجمات التي نشطت في ترجمة التراث اليوناني والفارسي.

وهذه العقيدة ـ أي (**الحقيقة المحمدية**) ـ هي عبارة عن عصارة ومزيج من أفكار قديمة للأمم الوثنية السابقة، فهي ترميم للأفكار والعقائد الإيرانية القديمة (**المجوسية**)، وهي كذلك مزيج وتركيب بين الفلسفات (**الغنوصية**) والنظريات المسيحية في (**اللوغوس**).

لكن المؤثر الأهم في صناعة نظرية (**الحقيقة المحمدية**) هي أفكار الفيلسوف (**أفلوطين**)، حيث تم استعارة أهم أفكاره وتصوراته في (**نظرية الفيض**) وفُسر بها من قبل الباطنية والصوفية عملية (**الخلق الإلـٰهي**)، وكذلك استعير نفس مفهوم أفلوطين في (**العقل الأول**)

وجُعل هو الإمام أو النبي الملقب عند الباطنية والصوفية بـ(**الإنسان الأول**).

إن تصوّر **أفلوطين** (توفي سنة ٢٧٠ ميلادية) الفلسفي للخلق والإبداع، تصوّر في قمة السذاجة والوثنية، حيث إنه يعتقد أن علة العالم (**الخالق**) أبدع ما يسمىٰ بـ(**العقل الأول**) وهو كائن مستقل؛ أي: ليس حالة ذهنية مجردة، وإنما جوهر مستقل بذاته.

ويرىٰ **أفلوطين** أن في الوجود أربعة أقانيم؛ أي: أربعة جواهر أولية، وهي: **الأول** أو الواحد، ثم ثلاثة صادرة عنه علىٰ النحو الآتي، وهي: **العقل، فالنفس، فالمادة**.

وفي قمة الوجود يأتي (**الواحد أو الأول**) وهو مبدأ الوجود، ثم يأتي الشيء المحدث عنه وهو (**العقل**) وهو شبيه بموجده، وهو بدوره يفيض فيحدث صورة منه وهي (**النفس الكلية**)، وهذه الأخيرة تفيض فتصدر عنها نفوس الكواكب، ونفوس البشر، ونفوس الأجسام[1].

---

(١) انظر: في «تاريخ الفلسفة اليونانية»، الدكتور عوض الله حجازي والدكتور محمد السيد نعيم (ص٢٠٦)، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة. «دروس في تاريخ الفلسفة»، الدكتور إبراهيم مذكور ويوسف كرم (ص١٠٢، ١٠٣)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٠م. «أفلوطين =

وهذا التصور (**الأسطوري**) كان موجوداً في الروايات (**الأورفية**) قبل وجود المدارس الفلسفية اليونانية، حيث كان اليونان يعتقدون أن الأفلاك والنجوم والأجرام السماوية (آلهة) تدبر الكون، فالشمس، والقمر، والزهرة، وعطارد، وهي مكونة من قسمين: هيكل الأفلاك، وعقولها.

وتطور هذا الفكر الخرافي منذ ذلك الزمن، ومروراً بأرسطو، حتىٰ وصل إلىٰ الفيلسوف **أفلوطين**، الذين طوّر نظرية (**الفيض الإلـٰهي**) وصاغها في نظرية (**العقول العشرة**) أي: الأفلاك وعقولها، وأنها هي التي تدبر العالَم، وأن الله ـ تعالىٰ ـ أوكل لها تنظيم العالَم وتدبيره، وأنه صدر عن نور الخالق ما يسمىٰ بـ(**العقل الأول**) الذي صدرت من نوره بقية أجزاء العالم السفلي والعلوي[1]. وبترجمة تلك الكتب الأسطورية الوثنية تسللت تلك النظرية، وتلقفها فلاسفة الإشراق والباطنية وغلاة

= رائد الوحدانية ومنهل الفلاسفة العرب»، غسان خالد (ص٩٥)، منشورات عويدات، بيروت.

(١) للاطلاع علىٰ فلسفة اليونان انظر: «الملل والنحل»، الشهرستاني، «الفلسفة اليونانية»، يوسف كرم، «ربيع الفكر اليوناني»، عبد الرحـٰمن بدوي، «خريف الفكر اليوناني»، عبد الرحـٰمن بدوي.. وغيرها.

الصوفية، وفسروا بها (**صدور العالم وصلته بمبدعه**) و(**النبوات**).

يقول المستشرق: (**دافيد سانتلانا**) وهو يشرح عقيدة الأفلوطينيين في الخلق: (إن الوجود عند الإسكندريين قد انحصر في أصل واحد وهو: العقل الفائض من العلة الأولىٰ، وما يفيض من العقل من مراتب الموجودات. فالكل أنوار عقلية؛ أي: قوىً إلـٰهية انعكست ببعضها عن البعض، يتناقص نورها؛ أي: قوتها شيئاً فشيئاً، بقدر ما تباعدت عن المنبع الأول.. وقريب من ذلك، ما يوجد في المتصوفين من علماء الإسلام وحكماء الإشراق من الفلاسفة)(١).

وقد ذهب (**أفلوطين**) إلىٰ إعطاء ما يسمىٰ بـ(**العقل الأول**) دوراً فعالاً، حيث وحَّد بين العقل واللوغوس، وقال: إن **العقل والكلمة** شيء واحد، وذهب إلىٰ أن الكلمة هي نور العالم الذي به يصير كل شيء، وأن هذا العقل هو الذي يفيد العدل والصلاح، وسائر الفضائل، لكن لا بتدبير الكواكب، وإنما بتدبير الواحد المحض

---

(١) «المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي»، دافيد سانتلانا، تحقيق: محمد جلال شرف (ص٩٩، ١٠٠) دار النهضة العربية، بيروت.

الذي هو علة الأشياء كلها، وعنه صدرت الأشياء وفاضت وامتلأت منه النفوس نوراً وبهاء، ومنه انبثق العقل أو الكلمة، والذي بدوره أبدع بقية الأشياء[1].

ويتحدث أفلوطين بشكل واضح عن **اللوغوس** أو **الكلمة**، فيبيّن إنَّ الإنسان الأول، صدر عن الباري، وهو نور ساطع فيه جميع الحالات الإنسانية، فيه نفس إلٰهية شريفة هو اللوغوس «العقل» وهو ضوء سائح من ذلك الجوهر الكريم، إنه يفيض كالنور من قرص الشمس[2]. ويقول (**أفلوطين**) ما نصه: (**من أراد أن يرىٰ الإنسان الحق الأول فينبغي أن يكون خيراً فاضلاً، وأن يكون له حواسٌ قوية لا تنجس عند إشراق الأنوار الساطعة عليها، وذلك**

---

(١) انظر: «الأفلوطينية المحدثة»، محمد عبد الحميد الحمد (ص٢٨ و٣٠). أقول: من هنا ومن النص الذي يليه سيظهر لك أخي القارئ الكريم التأثير الواضح لعقيدة أفلوطين في **اللوغوس** أو **الكلمة** أو **العقل الأول** في نظرية (**الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي**) الفلسفية، والتشابه شبه المتطابق بينهما، وسترىٰ قريباً كيف قامت الباطنية بإدخال تلك العقيدة إلىٰ الوسط الإسلامي، ثم كيف تلقفها غلاة الصوفية من بعدهم، زاعمين أن في هذه العقيدة تعظيماً لمقام نبينا الكريم محمد ﷺ!

(٢) انظر: «الأفلوطينية المحدثة» (ص٢٧، ٢٨)، و«أفلوطين عند العرب»، عبد الرحمٰن بدوي (ص١٨٠).

أن الإنسان الأول نور ساطع في جميع الحالات الإنسانية)[1].

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد، أننا حينما نقارن - أيضاً - بين مفهوم **الحقيقة المحمدية** أو **النور المحمدي** عند الصوفية وبين مفهوم (**الكلمة - اللوغوس**) عند **فيلون اليهودي** أو عند النصارىٰ نجد **تشابهاً** كبيراً.

فالفيلسوف اليهودي (**فيلون**: توفي ٥٤ ميلادية) اهتم **باللوغوس** أو **الكلمة**، واعتبرها وسيلة الله العملية التي تحل في الوجود وتربط بين الكائنات، متضمنة نماذجها الجوهرية وعللها البذرية، وهو يعتبرها ثانية بعد الله وأدنىٰ منه؛ أي: **أن** فيلون اليهودي استعمل لفظة (**اللوغوس**) ولتكون وسيطاً بين الله والعالم[2].

أما النصارىٰ فيعتقدون **أن** (**الكلمة**) هي الواسطة

---

(١) «نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها وتصويرها الشعري»، هانز هينرش شيدر، ترجمة: د. عبد الرحمٰن بدوي (ص٤٧) ضمن كتاب «الإنسان الكامل في الإسلام»، للدكتور عبد الرحمٰن بدوي، وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية، الكويت ١٩٧٦م.

(٢) انظر: «قاموس الكتاب المقدس»، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين (ص٧٨٥)، و«أفلوطين رائد الوحدانية» (ص٩٨، ٩٩).

التي خلق الله بها الخلائق، وكانت منذ الأزل مع الله، وكانت أول تعين للذات الإلٰهية فاضت منه بقية التعيينات الأخرىٰ، من روحية ومادية[1].

فقد جاء في «إنجيل يوحنا»: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله)[2].

كما جاء في «الأناجيل» أن المسيح هو نور العالم[3].

أما (**يوسابيوس القيصري**)[4] فيقول عن **الكلمة** أو **المسيح** ما نصه: (النور الذي كان قبل العالم، والحكمة الأساسية العقلية الكائنة قبل الدهور، والكلمة الحي الكائن مع الآب من البدء الذي هو الله، المولود الأول والوحيد من الله الكائن قبل كل خليقة، قبل المخلوقات المنظورة وغير المنظورة)[5].

---

(١) ستقرأ قريباً عند الصوفية تعريفهم للحقيقة المحمدية وأنها: (هي الذات مع التعين الأول وهو الاسم الأعظم). ولا يخفىٰ علىٰ فطنة القارئ هذا التشابه بين تعريف النصارىٰ **للكلمة** وتعريف الصوفية **للحقيقة المحمدية!**

(٢) «إنجيل يوحنا»: الإصحاح الأول، فقرة ١ ـ ٣.

(٣) «إنجيل لوقا»: الإصحاح الثاني، فقرة ٣٢.

(٤) يوسابيوس: هو أسقف قيصرية، ومن أقدم المؤرخين المسيحيين لتاريخ الكنيسة، توفي سنة ٣٤٠م.

(٥) «تاريخ الكنيسة»، يوسابيوس القيصري. ترجمة: القمص مرقس داود (ص١١) مكتبة المحبة، ط٣، ١٩٩٨م.

ويقول (**يوسابيوس**) أيضاً: (من ذا الذي يمكن أن يُدعىٰ مبدع كل الأشياء سوىٰ كلمته الكائن منذ الأزل)[1].

ويقول (**يوسابيوس**) وهو يدلل علىٰ وظائف الكلمة: (أما عن وجود شخصية معينة كانت عائشة وكائنة قبل العالم، وكانت تخدم الآب وإلـٰه الكون لتكوين كل المخلوقات، وهي التي تُدعىٰ كلمة الله وحكمته، فيمكن إقامة براهين أخرىٰ عليها علاوة علىٰ ما سبق اقتباسه)[2].
ولعل ظهور الفيلسوف المسيحي الآرامي (**برديصان الرّوي** ـ ٢٢٢ ميلادية) كان له أبلغ الأثر في تطور الفكر المسيحي الأفلوطيني، بحكم تأثر أفلوطين بفلسفة (**برديصان**) الذي كان يؤمن بالمسيح، لكنه مزج اللاهوت المسيحي بالفلسفة اليونانية، وآمن بأن الله خلق الكلمة (**المسيح**) وبواسطته خلق العالم، واعتقد أنه هو الإنسان الأول الذي صدر عن الله، وأنه نور ساطع فيه جميع الحالات الإنسانية، وأنه نور يفيض علىٰ العالم[3].

ونجد أن **أفلوطين** كما أنه أثر بفلسفته في العقائد المسيحية، نجد كذلك أن **المسيحية البولسيَّة** ـ أيضاً ـ

---

(١) «تاريخ الكنيسة» (ص١٢). (٢) «تاريخ الكنيسة» (ص١٣).
(٣) انظر: «أفلوطين عند العرب»، الدكتور عبد الرحـٰمن بدوي (ص١٨٠)، و«الأفلوطينية المحدثة» (ص٢٧، ٢٨).

أثرت فيه، واقتبس منها بعض الأفكار، وكانت (**الكلمة**) أو (**اللوغوس**) من الأفكار التي تأثر بها في تفسير صدور العالم ووجود الواسطة في انبثاق الخلائق المتكثرة عن الواحد، وكذلك (**الثالوث**) المسيحي الذي انتقل إلىٰ **أفلوطين** وتحوّرَ إلىٰ **الثالوث الأفلوطيني** بهذا الشكل (**الواحد والعقل والنفس**)[1].

وهكذا وفي وقت لاحق ـ مع وجود اختلاف بين المسيحية وفلسفة أفلوطين ـ أصبح هناك تداخل دقيق في عقيدة (**الكلمة**) وغيرها بين فلسفة **أفلوطين** وبين **المسيحية**، حتىٰ قال العميد (**انج**): (إن الأفلوطينية جزء من البناء الحيوي للاهوت المسيحي، وإنه يستحيل استحالة مطلقة أن تنفصل الأفلوطينية عن المسيحية دون تمزق المسيحية)[2].

وهكذا تشكل التصور عن **العقل الأول** أو **الكلمة** في الفلسفة الأفلوطينية، ودخل في بعض جوانب الأديان السماوية عن طريق فلاسفة **الغنوصية** وغيرهم، وأخذ

---

(١) انظر: «أفلوطين رائد الوحدانية ومنهل الفلاسفة العرب»، غسان خالد (ص٩٨، ٩٩)، و«الأفلوطينية المحدثة»، محمد عبد الحميد الحمد (ص٢١).

(٢) «ربيع الفكر اليوناني»، الدكتور عبد الرحمٰن بدوي (ص١٦٩)، و«الأفلوطينية المحدثة» (ص٢٧، ٢٨).

اللاهوت المسيحي واليهودي يتأثران بكثير من أفكار أفلوطين، وأصبح كثير من علماء وفلاسفة المسيحية يُضاهئون قول أفلوطين في كثير من آرائهم، وصدق الله العظيم الذي قال: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة].

أما تأثير العقائد الإيرانية القديمة (**المجوسية**) فكان من خلال صياغة مفهوم (**الإنسان الكامل**) عند الباطنية والصوفية، حيث يحتل هذا الإنسان نفس المنزلة والرتبة والتأثير في العالم والنشأة عند الفلسفة الإيرانية القديمة.

وقد بيّن المستشرق (**هانز هينرش شيدر**) أنَّ فكرة الإنسان الكامل بلغت كمال نموها في الغنوص الإسلامي، وهي بدورها تعود في جذورها إلىٰ صورة الإنسان في التفكير الإيراني القديم، والذي كان في الإنسان الأول يؤدي أولاً وظيفة كونية، ويلعب الدور الرئيس في الدراما الكبرىٰ لنشأة العالم، ومن خلاله فسرت النظرة الإيرانية القديمة (**المجوسية**) نشأة الإنسانية بتصوير أسطوري[1].

---

(١) انظر: «نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها وتصويرها الشعري»، هانز هينرش شيدر، ترجمة: د. عبد الرحمٰن بدوي (ص٢١ ـ ٢٥ و٢٩) ضمن كتاب «الإنسان الكامل في الإسلام»، للدكتور عبد الرحمٰن بدوي، وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية، الكويت ١٩٧٦م.

ثانياً
عقيدة الإسماعيلية الباطنية في المبدع الأول

إذا كانت الفلسفات الوثنية اليونانية ـ وغيرها ـ قد دخلت إلىٰ الإمم السابقة كاليهود والنصارىٰ؛ فإن الوسط الإسلامي لم يكن بمعزلٍ عن تلك التأثيرات الفلسفيّة، خاصة وأن كثيراً من اليهود والنصارىٰ والمجوس والصابئة كانوا يعيشون في ذلك الوسط، وينفعلون معه، ويؤثرون فيه سلباً وإيجاباً.

ثم كان دخول تلك الفلسفات اليونانية والأمميَّة بقوة إلىٰ العالم الإسلامي بعد حركة الترجمة الواسعة للتراث اليوناني وغيره، وكانت **الباطنية الإسماعيلية** أعظم فرقة استقت عقائدها من تلك الفلسفات، حتىٰ إن الدارس لفلسفة اليونان وخاصة (**أفلوطين**) يجد شبه تطابق بينها وبين عقيدة الباطنية في نظريات (**الخلق والإبداع**) إلا أن الإسماعيلية حاولت أن تضفي شيئاً من الشرعية علىٰ تلك النظريات، وذلك بإلباسها مسوحاً دينية بواسطة تغيير المصطلحات الفلسفية بألفاظ شرعية، أما الحقائق فلم يتغير منها شيء ذو بال.

ففي الكتاب الذي وضعته جماعة **(إخوان الصفا)** الجمعية السريَّة الباطنية الإسماعيلية الفلسفيَّة علىٰ لسان **(أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق)** جاءت تلك العقيدة **(الأفلوطينيَّة)** واضحة بجلاء، وقد ألبسوا بعض ألفاظها لباساً شرعياً باستخدام ألفاظ دينية.

فقد جاء في «الرسالة الجامعة» فصل بعنوان: (في الإبداع الأول والقول بأن علم العدد فيض العقل علىٰ النفس)[1].

ومما جاء فيه، ما نصه: (الحمد لله جاعل أول ما أبدعه عرشه المحيط، وثانيه كرسيه الذي وسع السماوات والأرض، فعرشه هو القلم الجاري بأمره، فخط في اللوح الكريم سطور المشيئة)[2].

وقالوا: (وكان من الفضل الذي جاد به عليه والإحسان الذي أسداه إليه ما أفاضه العقل علىٰ النفس أولاً من الفكر في الإقرار بالمبدع الحق الأول، ومعرفة

---

(١) «الرسالة الجامعة تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا»، المنسوبة لأحمد بن عبد الله، تحقيق: مصطفىٰ غالب (ص٢٤) دار صادر، بيروت.

(٢) «الرسالة الجامعة» (ص٢٥).

العقل الذي هو أصل لها وآب.. وكان أول وجود فاض من العقل علىٰ النفس)[1].

ويقول الداعي الإسماعيلي الباطني (**إسحاق السجستاني**) ـ القرن الثالث ـ مبيناً حقيقة العقل: (العقل: وهو أول خلق ظهر من أمر الله تعالىٰ، وسمي العقل لأنه لما تجرد المبدع عن سمات المربوبين، وتعرّىٰ عن صفات المخلوقين ـ وذلك أمجد تسبيح، وأنزه معرفة، وأقدس علم ـ ولم يوجد الباري تعالىٰ في أول الخلقة غير العقل فحصر في جوهره صور المبدعات كلها.. ويقال للعقل: العرش.. ويقال للعقل: الأول)[2].

ثم يقول: (ثم النفس فإنها الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول.. ويقال للنفس: اللوح ومعناه أن الذي انفطر من العقل من أنوار الكلمة يتسطر في النفس)[3].

ويعقد الداعي الإسماعيلي الباطني (**أحمد حميد الدين الكرماني**) ـ ولد في بداية القرن الرابع ـ فصلاً بعنوان: (في إثبات المبدع الذي هو الموجود الأول وإن

---

(١) «الرسالة الجامعة» (ص٢٦).

(٢) «تحفة المستجيبين»، لأبي أيوب إسحاق السجستاني، تحقيق: عارف تامر (ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية: ص١٣)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٣) «تحفة المستجيبين» (ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية: ص١٤).

وجوده لا من ذاته، وأنه علة تنتهي إليها الموجودات)[1].

ثم يفيض فيه شرح عقيدة الإسماعيلية في قصة الخلق، وهي ما يتطابق مع عقيدة أفلوطين الوثني حذو القذة بالقذة، مع اختلافٍ في بعض الألفاظ.

ويعقد الداعي الإسماعيلي الباطني (**إدريس عماد الدين القرشي**) باباً في كتابه «**زهر المعاني**» بعنوان: (في سبق الأول من عالم الإبداع إلىٰ التوحيد، وما اختص به لسبقه من إمداده بنوره)[2].

ومما قاله فيه، ما نصه:

(فكان أولاً كالواحد الذي هو أول الأعداد، وسابقاً لعالم القدس المكنىٰ عنه بعالم الآحاد، وجعله مبدعه حجابه الأدنىٰ، وبابه الأرفع الأسنىٰ، معنىٰ المعاني، وغاية الكمال الثاني، وسابقاً للعالم الروحاني، نور الأنوار، وسر الأسرار، المكنىٰ عنه بالمؤمن المهيمن العزيز الجبار، قال النبي:

«**أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، ثم**

---

(١) «راحة العقل»، الداعي الكرماني، تحقيق: مصطفىٰ غالب (ص١٥٧)، دار الأندلس، بيروت.

(٢) كتاب «زهر المعاني»، الداعي إدريس عماد الدين القرشي، تحقيق: مصطفىٰ غالب (ص٣٧) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

قال له: أدبر، فأدبر. فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز عليَّ منك، بك أثيب، وبك أعاقب». فكان إقباله بالاستمداد من مبدعه ومؤيده ومعليه، إلىٰ أسمىٰ المراتب الروحانية.. وإقباله هو استمداده من مفيده الذي هو ربه الذي أصعده وأرقاه، وإقباله علىٰ وصيه بما أصعده وأعلاه، وإفادة الحدود العالين، مما استمده من نور عالم القدس، وإفاضته عليهم مما اتصل به من العقل والنفس)[1].

ويقول موضحاً هذه العقيدة:

(إن العقل الأول لما سبق إلىٰ التوحيد والتنزيه لمن أبدعه، والتجريد، واتصلت به من مبدعه الأنوار القدسانية، والإفاضات الشريفة الروحانية، كان لعالمه أولاً، وعلة بها كان تواليهم، وتتاليهم علىٰ الولاء، مقتدين بتسبيح مبدعهم، وموجدهم بفعله، ومستمدين مغترفين من معين تأييده، المفيض عليهم من هتانه لا من وبله، ومعترفين مما أختص به من عالي شرفه وفضله.

وكان السابق الأول، والموجود الأفضل، الذي علته لتلك العقول الشريفة المعول، منه يستمدون، ويقتبسون عنه، **ينبعثون بالأنوار القدسية الشريفة المضيئة، وينجون،**

---

(١) كتاب «زهر المعاني» (ص٣٧).

وهو الواسطة بينهم وبين مبدعهم جلّ وعلا، وحجابه الأرفع الأعلىٰ، وهو من النور والبهاء.. ولما اتصلت به مواد مبدعه وأنواره منشية ومخترعة، أفاضها علىٰ من دونه من العقول الشريفة، والأنوار المقدسة اللطيفة)[1].

ثم بعد ذلك يعقد أبواباً في ذكر حقيقة النبي ﷺ، وأهل بيته، ومما قاله في وصف النبي ﷺ أنه: **(كان هيكلاً نورانياً، ومقاماً إلـٰهياً)**[2].

ثم يورد الداعي الإسماعيلي الباطني **(إدريس عماد الدين القرشي)** رواية منسوبة إلىٰ جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ، أنه قال:

(إن الله خلقني وخلق أخي علياً، ولا سماء، ولا أرض، ولا جنة ولا نار، ولا لوح ولا قلم، فلما أراد خلقنا تكلم بكلمة فصارت نوراً وروحاً، فمزج بينهما فخلقني وخلق علياً منهما، وخلق من نوري العرش، أنا أجلّ من العرش، وخلق من نور علي نور السماء، فعلي أجلّ من السماوات، وخلق من نور الحسن نور القمر، وخلق من نور الحسين نور الشمس)[3].

---

(١) كتاب «زهر المعاني» (ص٤٣، ٤٤).

(٢) كتاب «زهر المعاني» (ص١٥٣).

(٣) كتاب «زهر المعاني» (ص١٧٦، ١٧٧).

يقول (**مصطفىٰ غالب**) ـ وهو إسماعيلي معاصر ـ شارحاً عقيدة الإسماعيلية في بداية الخلق وصدور الأشياء عن الله:

(يذهب الإسماعيلية في توحيدهم إلىٰ أن الله ﷻ منزه عن الصفات والأسماء ولا شريك له.. وأنه ﷻ أبدع من ذاته العقل الكلي أو الموجود الأول أو المبدع الأول أو السابق وجعله علة للموجودات، العلوية والسفلية.. ثم بواسطة المبدع الأول هذا وجدت النفس وهي الخلق المنبجس من الخلق الأول.. وبواسطة الأصلين السابق والتالي، أو العقل والنفس، وجدت المخلوقات كلها العلوية: الروحانية، والسفلية: الجسمانية)[1].

وبعد أن أفاضت الإسماعيلية في شرح عقيدتهم الباطنيَّة الخاصة بتفسير **صدور العالم** عن الخالق، وحينما جعلوا **العقل الأول** مصدر الأشياء وفيضها ومبدعها من نوره وسناه، جعلوا النبي محمد ﷺ يحتل محل ذلك (**العقل**) ويقوم مقامه، وجعلوا وصيه وخليفته من بعده يقوم مقام (**النفس الكلية**) أو اللوح المحفوظ.

وهكذا نقلوا العقائد الوثنية اليونانية الأفلوطينية

---

(١) مقدمة كتاب «راحة العقل» للكرماني (ص٣٤). وانظر: «مفاتيح المعرفة»، مصطفىٰ غالب (ص٤٣ وما بعدها)، مؤسسة عز الدين، بيروت.

الممزوجة بمعرفة غنوصية، وأدخلوها في صلب عقيدتهم، وأبدلوا بعض المصطلحات الفلسفيَّة بألفاظ شرعية ودينية، وذلك زيادة في التلبيس وخداع العامة والبسطاء، والذين لا يعلمون أن تلك العقيدة هي عقيدة (**أفلوطين**) التي فسّر بها صدور العالم عن الواحد.

يقول (**كارل هينرش بكر**): (ليس من شك في أن الآراء الغنوصية كانت مادة خصبة انتفع بها الفاطميون في دعوتهم الشيعية أولاً، ثم الإسماعيلية من بعد)[١].

قالت الإسماعيلية: (سيدنا محمد القائم في دار الطبيعية مقام الإبداع الأول في عالمه، ووصيه الحال منه محل لوح الله المحفوظ من قلمه)[٢].

ويقول الداعي الإسماعيلي الباطني (**إسحاق السجستاني**): (منزلة الرسول في العالم الجسماني كمنزلة السابق) ـ أي العقل أو المبدع الأول ـ في العالم الروحاني[٣].

---

(١) «تراث الأوائل في الشرق والغرب»، كارل هينرش بكر (ص١٠)، ضمن كتاب «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية»، للدكتور عبد الرحمٰن بدوي، دار القلم، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٠م.

(٢) «مجموعة مسائل»، تحقيق: المستشرق شتروطمان، ضمن أربعة كتب إسماعيلية (ص٣١).

(٣) «إثبات النبوءات»، لأبي يعقوب السجستاني (ص٥٧).

ويقول الداعي الإسماعيلي الباطني (**الحسين بن علي بن الوليد**): (كانت مرتبة النبي مرتبة العقل السابق في وقته، ومرتبة أمير المؤمنين في الدين معه مرتبة الانبعاث الأول في عالمه، والنبي مثل الذَّكَر في الدين، وأمير المؤمنين معه مثل الأنثىٰ القابلة منه)[1].

ويقول الداعي الباطني (**أحمد حميد الدين الكرماني**) وهو يشرح عقيدة القوم في **العقل الأول** وما نتج عنه، وحقيقتهما المتمثلة في النبي ووصيه: (الناطق ـ أي النبي ـ في عالم الدين لما كان مثلاً للعقل الأول في دار الإبداع، كان كونه علة لوجود العقول الطبيعة. . وكون الموجود عنه اثنين بحسب النسبتين، أحدهما وهو الأشرف: وهو الوصي ـ أي النفس الكلية ـ الذي أقامه مقامه، وأخبر الله تعالىٰ بأنه نفسه ـ أي الوصي علي بن أبي طالب ـ كنفس محمد في آية المباهلة، بكونه في الكمال والتمام كهو. . فوجود الوصي والكتاب المقترن بالشريعة عنه ينطق بأن الموجود عن العقل الأول ـ أي النبي ـ اثنان)[2].

وهكذا غُيّرَت حقيقة النبي ﷺ من بشر إلىٰ صورة

---

(١) «المبدأ والمعاد»، الحسين بن علي بن الوليد، تحقيق: المستشرق هنري كربين (ص١٢٤).

(٢) «راحة العقل» (ص٢١٣، ٢١٤).

أخرىٰ مخالفة كلياً لحقيقة الإسلام، وحُولت صورته ﷺ إلىٰ مفهوم فلسفي يتطابق مع نظرية (**العقل الأول**) الأفلوطينية!

يقول المستشرق (**كارل هينرش بكر**): (إنه من الثابت أن الغنوص قد أثر في إيجاد هذه الصورة التي صوّرتها العصور الوسطىٰ الإسلامية المتأخرة لمحمد، وكان سبباً أيضاً في إيجاد ما يشبه عبادة محمد، وهذه العبادة وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الإسلام الأول كل مخالفة، أما أولياء الله في الإسلام ففي مقابل الأرواح القدسية في الهيلينية، حتىٰ إن محمداً وهو النموذج الأعلىٰ ينتهي بأن يصبح هو العقل الموجود منذ الأزل، وأن يكون الرحيم المخلص القدير، وعن طريق هذا المذهب انقلبت فكرة الوحي التي كانت موجودة في الإسلام الأول إلىٰ ضدها)[1].

وتلبيساً علىٰ العوام وضعت الباطنية الروايات التي تتحدث عن **النور الأزلي** الذي خُلق منه النبي ﷺ ووصية

(١) «تراث الأوائل في الشرق والغرب»، كارل هينرش بكر، ترجمة: الدكتور عبد الرحمٰن بدوي (ص١٢)، ضمن كتاب «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية»، للدكتور عبد الرحمٰن بدوي، دار القلم، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٠م.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجُعل **النبي في** مقام مماثلٍ **للعقل الأول** والذي له أسماء عديدة فلسفيَّة وشرعية، فأما الفلسفية فهي: العقل الكلي، والموجود الأول، والمبدع الأول.

وأما الأسماء الشرعيَّة أو الباطنية، فهي: القلم، والكلمة، والسابق.

أما **الوصي** فجُعل في مقام مماثلٍ **للنفس الكلية**، ويسمونه: اللوح، والمبدع الثاني، والتالي[1].

يقول المستشرق **(جولد تسيهر)**: (كان لمذهب الإسماعيلية في هذا الميدان ـ وضع الحديث ـ جولات وصولات، وهو المذهب الذي نقل أصحابه نظريات الأفلاطونية المحدثة إلىٰ ميدان الحياة السياسية والاجتماعية الرحب الفسيح، فمن هذه الدوائر كلها ـ الصوفية والباطنية ـ صدرت ثروة ضخمة من الأحاديث صُوِّر النبي فيها بصورة ترجمان للأفكار الأفلاطونية المحدثة والغنوصية)[2].

---

(١) انظر الكتاب القيّم: «الإسماعيلية تاريخ وعقائد»، إحسان إلٰهي ظهير (ص٢٨٦ وما بعدها) إدارة ترجمان السنة، ط. الأولىٰ، لاهور، باكستان ١٤٠٦هـ.

(٢) «العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية في الحديث»، جولد تسيهر، ترجمة: عبد الرحمٰن بدوي (ص٢١٩)، ضمن =

ثم قال المستشرق (**جولد تسيهر**): (من بين تلك الأحاديث التي تحمل هذا الطابع، حديثاً مأخوذاً عن نظرية الصدور التي قال بها الأفلاطونيون المحدثون.. فالقول بأن العقل الكوني هو أول شيء صدر مباشرة عن الذات الإلٰهية يُصوَّر علىٰ النحو الآتي: أول ما خلق الله العقل)[1].

وهذا الداعي الباطني (**طاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني**) يروي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: (**أنا ومحمد** من **نور واحد**، من **نور الله تعالىٰ**، **أمر الله تعالىٰ ذلك النور أن ينشق إلىٰ نصفين، فقال للنصف الأول: كن محمداً، وللنصف الثاني: كن علياً**)[2].

ويروي الداعي الباطني (**حسن بن نوح الهندي**) عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالىٰ خلقني وعلي نوراً بين يدي العرش، نسبح الله ونقدسه قبل أن يخلق آدم بألفي عام**»[3].

= كتاب «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية»، للدكتور عبد الرحمٰن بدوي، دار القلم، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٠م.

(١) «العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية في الحديث»، جولد تسيهر (ص٢١٩).

(٢) «الأنوار اللطيفة»، الحارثي اليماني (ص١٢٧).

(٣) «الأزهار ومجمع الأنوار»، حسن الهندي (ص٢٢٤).

وهذا هو الإمام الباطني الإسماعيلي **(المعز لدين الله)** وبناءً علىٰ زعمه أنه من سلالة النبي ﷺ، وأنه وصيه، وأنهم أنوار خلقت منذ الأزل، فهم بمنزلة **(العقل الأول)**، يقول ما نصه: **(إلـٰهي ظهرت الموجودات كلها بي، واخترعت مني كل رسول ونبي، وأنا ابن لك وأنت أبي، أنا منك كالفيض، وشراقُهُ وليف فليس الفيض غير الفيض**[1].. **إلـٰهي أنت ذاتي ونفسي، ومعدني وقدسي، ونطقي وأنسي، إلا ففي اختفيت فأشرقت، ربي اقتربت فأبرقت أنا نظرتك بكلمتك الإلـٰهية، وكلمتك القدسية، وذاتك الأبدية، والذات الأزلية الكلية، ونورك وبي ظهورك)**[2].

---

(١) قارن هذا الكلام الذي يقوله الإمام الباطني **(المعز لدين الله)** عن نفسه، ثم قارن تلك الرواية المزعومة عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: إن أول شيء خلقه الله هو نور محمد، وخلق بعده كل شيء، فخلق منه العرش والكرسي، وحملة العرش وخزنة الكرسي وخلق القلم واللوح، والجنة، ثم خلق الملائكة، والشمس والقمر والكواكب، ثم خلق الله روح كل نبي ورسول، وكل ولي وشهيد وسعيد إلىٰ يوم القيامة.. إلخ.
أقول: قد مرّ معك بعضاً من روايات النور منسوبة إلىٰ جابر في المصادر الإسماعيلية الباطنية، ولعلك من هنا تعرف مصدر تلك الرواية الصوفية المزعومة المنسوبة لجابر التي تتحدث عن النور المحمدي.

(٢) «أجزاء من العقائد الإسماعيلية»، جمع: المستشرق كوئيار (ص٤٨).

ومن هنا يتبيّن كيف أنَّ الإسماعيلية نقلت الفلسفة اليونانية وبعض العقائد المسيحية في (**الكلمة**) و(**العقل الأول**) وسارت في نفس طريق (**أفلوطين**) في تفسيره صدور العالم عن الواحد، وأن العقل الأول هو النور الأزلي الذي فاضت من نوره جميع الموجودات، وكيف أن الإسماعيلية أخذت كل ذلك وغيّرت بعض الألفاظ الفلسفية إلىٰ ألفاظ دينية، ثم جعلت النبي ﷺ في مقام (**العقل الأول**) الذي هو أول ما خلق الله، وزعموا أن الله خلق محمداً ـ العقل الأول ـ قبل سائر الكائنات، وأن **النبيَّ** هو **الكلمة الإلـٰهية** التي صارت نوراً، ومنها خُلق العالم وخُلق كل شيء(١).

وفي جانب **شيعي آخر**، نجد ـ كذلك ـ أن طائفة شيعية باطنية أخرىٰ غيرٌ **الإسماعيلية** قد اهتمت بفلسفة

---

(١) ولذا يذهب المستشرق (**جولد تسيهر**) إلىٰ تأكيد استقاء الإسماعيلية عقائدهم وأفكارهم من النظريات الأفلوطينية. انظر: «العقيدة والشريعة»، جولد تسيهر (ص٢١٣).

وكذلك يؤكد الباحث (Solomon Pines) أن فلسفة **الكلمة** أو **اللوغوس** دخلت إلىٰ التراث الإسماعيلي عن طريق الوسط **المسيحي المانوي** الذين يرون أن الكلمة هي الوسيط بين الواحد الأول وبين العقل المبتدع منه.

انظر: «الأفلوطينية المحدثة والتوحيد الإسماعيلي» (ص١٢).

(النور المحمدي) في وقت مبكر، ووضعت العديد من الروايات والأخبار في هذا الصدد، وهذه الطائفة هي طائفة الشيعة **الإمامية الإثني عشرية**، والتي كان لها دور كبير في وضع العدد الأكبر من الأخبار في تأييد نظرية **(النور المحمدي)** قبل وجود العالم.

فالإثني عشرية يروون في أصولهم القديمة ـ التي يزعمون أنها تعود للقرن الثاني ـ عن عباد عن عمرو عن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين يقول:

(إن الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدسونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله)[1].

ويروي ثقتهم ومحدثهم **(الكُليني)** عن محمد بن يحيىٰ، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن الحسين، عن أبي سعيد العصفوري عن عمرو بن ثابت، عن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: **وساق نفس الرواية السابقة**[2].

ويروي محدثهم **(محمد بن الحسن الصفار**: المتوفىٰ

---

(١) «الأصول الستة عشر»، عدة محدثين (ص١٥).

(٢) «الكافي»، الكليني (١/ ٥٣٠).

سنة ٢٩٠هـ) عن محمد بن عيسىٰ، عن محمد بن شعيب، عن عمران بن إسحاق الزعفراني، عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول: **(خلقنا الله من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه فكنا نحن خلقنا نورانيين)**[١].

ويروي **(الكليني)** عن أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عيسىٰ بن عبيد، عن محمد بن شعيب، عن عمران بن إسحاق الزعفراني، عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: **وساق نفس رواية الصفار السابقة**[٢].

وكذلك يروي الشيخ الصدوق (٣٨١هـ) بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (إن الله تبارك وتعالىٰ خلق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات والأرض، والعرش والكرسي، واللوح والقلم، والجنة والنار، وقبل أن يخلق آدم، ونوحاً، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وموسىٰ، وعيسىٰ، وداود، وسليمان[٣].. وقبل أن يخلق الأنبياء كلهم بأربع

---

(١) «بصائر الدرجات»، محمد بن الحسن الصفار (ص٤٠).

(٢) «الكافي»، الشيخ الكليني (١/ ٣٨٩).

(٣) أقول: من يقارن هذه الرواية الشيعيَّة بالرواية المزعومة المنسبة =

مائة ألف وأربع وعشرين ألف سنة، وخلق الله ﷻ معه اثني عشر حجاباً..

ثم حبس نور محمد صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان ربي الأعلىٰ، وفي حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة..

ثم أظهر ﷻ اسمه علىٰ اللوح، وكان علىٰ اللوح منوراً أربعة آلاف سنة، ثم أظهره علىٰ العرش فكان علىٰ ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة إلىٰ أن وضعه الله ﷻ في صلب آدم، ثم نقله من صلب آدم إلىٰ صلب نوح.

ثم جعل يخرجه من صلب إلىٰ صلب حتىٰ أخرجه من صلب عبد الله بن عبد المطلب فأكرمه بست كرامات ألبسه قميص الرضا، ورداه رداء الهيبة، وتوجه تاج الهداية، وألبسه سراويل المعرفة[1]، وجعل تكته تكة المحبة يشد بها سراويله، وجعل نعله الخوف، وناوله عصا المنزلة، ثم قال ﷻ له: يا محمد، اذهب إلىٰ الناس فقل لهم: قولوا لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله. وكان أصل ذلك القميص في ستة أشياء قامته من

= إلىٰ جابر ﷺ يجد بينهما تشابهاً كبيراً، وكأن الروايتين قد خرجتا من مصدر واحد، ومن نَفَسٍ واحد!

(١) أقول: ما علاقة المعرفة التي محلها العقل بالسراويل؟!

الياقوت، وكماه من اللؤلؤ، ودخريصة من البلور الأصفر، وإبطاه من الزبرجد، وجربانه من المرجان الأحمر، وجيبه من نور الرب جل جلاله، فقَبِل الله توبة آدم عليه السلام بذلك القميص، ورد خاتم سليمان به، ورد يوسف إلىٰ يعقوب به، ونجا يونس من بطن الحوت به، وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام نجاهم من المحن به، ولم يكن ذلك القميص إلا قميص محمد صلى الله عليه وآله)[1].

هذه بعض من الأخبار الكثيرة التي وُضِعت لتأكيد نظرية (**نور الأئمة**) السابق لوجود العوالم والكائنات، والتي سوف تتسرب إلىٰ الوسط الإسلامي السني علىٰ شكل أحاديث وروايات، ومرحلة وضع الأخبار هي مرحلة لاحقة قامت بها الشيعة الأثني عشرية ـ أو الصوفية من بعدهم ـ لترسيخ النظريات الفلسفية (**الأفلوطينية**) التي سبقت إليها الإسماعيلية فلسفياً، والهدف من ذلك وضع أئمة الشيعة في مرتبة العقول اليونانية التي مُنِحت صفاتاً إلـٰهية[2].

---

(١) «كتاب الخصال»، الشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر غفاري (ص٤٨١ ـ ٤٨٣)، الناشر: جماعة المدرسين بالحوزة العلمية. و«معاني الأخبار»، الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري (ص٣٠٦) انتشارات إسلامي.

(٢) يقول شيخهم (**التبريزي الأنصاري**): (إن للنبي صلى الله عليه وسلم مقامات =

فهذا علامة الشيعة (**المجلسي**) يبيّن ويوضح بجلاء العلاقة؛ بل التطابق بين الحقيقة المحمدية، وما يقابلها عند الفلاسفة من العقول، ووجه التشابه بينهما؛ حيث يقول:

(فاعلم أن أكثر ما أثبتوه لهذه العقول قد ثبت لأرواح النبي والأئمة عليهم السلام في أخبارنا المتواترة على وجه آخر، فإنهم أثبتوا القدم للعقل، وقد ثبت التقدم في الخلق

= أربعة كما ورد في بعض الأخبار المأثورة وهي: مقام البيان، والمعاني، والأبواب، والإمامة.

فالأول مقامه اللاهوتي في مرتبة الفؤاد؛ أي: الجهة العالية من العقل الكلي، وهو مقام: «مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل». وإليه الإشارة في قولهم عليهم السلام: «لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن هو، وهو هو ونحن نحن». ومن هذا المقام تنحدر سيول الفيوضات الإلٰهية، ولا ترقىٰ إليه طيور العقولات الكلية والجزئية.

والثاني مقامه الجبروتي: وهو مرتبة العقل الكلي بنفسه من حيث هو مقام الحقيقة المحمدية، ومقام أول ما خلق الله العقل، وأول ما خلق الله روحي، وأول ما خلق الله نوري أو نور نبيك يا جابر، ولا منافاة بين تلك الأخبار لصحة كل منها بوجه من الاعتبار).

«اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء»، التبريزي الأنصاري، تحقيق: هاشم الميلاني (ص٦٢، ٦٣)، مؤسسة الهادي، قم، إيران.

لأرواحهم، إما علىٰ جميع المخلوقات، أو علىٰ سائر الروحانيين في أخبار متواترة. وأيضاً أثبتوا لها التوسط في الإيجاد أو الاشتراط في التأثير، وقد ثبت في الأخبار كونهم ﷺ علة غائية لجميع المخلوقات، وأنه لولاهم ما خلق الله الأفلاك وغيرها. وأثبتوا لها كونها وسائط في إفاضات العلوم والمعارف علىٰ النفوس والأرواح، وقد ثبت في الأخبار أن جميع العلوم والحقائق والمعارف بتوسطهم تفيض علىٰ سائر الخلق حتىٰ الملائكة والأنبياء.

والحاصل أنه قد ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم: الوسائل بين الخلق وبين الحق في إفاضة جميع الرحمات والعلوم والكمالات علىٰ جميع الخلق. فكلما يكون التوسل بهم والإذعان بفضلهم أكثر كان فيضان الكمالات من الله أكثر ـ إلىٰ أن قال ـ.

فعلىٰ قياس ما قالوا يمكن أن يكون المراد بالعقل نور النبي ﷺ الذي انشعب منه أنوار الأئمة ﷺ)[1].

فانظر إلىٰ اعتراف هذا العالم الشيعي الصريح، كيف أقرَّ أن أكثر ما أثبته الفلاسفة في نظريتهم الخاصة بالعقول قد أثبته الشيعة في أخبارهم المتواترة للنبي والأئمة، فالفلاسفة أثبتوا القدم للعقل، والشيعة قالوا بنفس قولهم

---

(١) «بحار الأنوار»، المجلسي (١/ ١٠٣).

في الأئمة، وكذلك أثبت الفلاسفة للعقول التوسط في الإيجاد وتابعهم الشيعة علىٰ نفس قولهم لكن في الأئمة، وكذلك أثبت الفلاسفة للعقول كونها وسائط في إفاضات العلوم والمعارف علىٰ النفوس والأرواح، واقتفىٰ أثرهم الشيعة ونسبوا ذلك للأئمة!

يقول ابن تيمية: (وهؤلاء ـ الفلاسفة ـ يدعون أن العقول قديمة أزلية، وأن العقل الفعال هو رب كل ما تحت هذا الفلك، والعقل الأول هو رب السماوات والأرض وما بينهما، والملاحدة الذين دخلوا معهم من أتباع بني عبيد، كأصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم وكملاحدة المتصوفة مثل: ابن عربي، وابن سبعين، وغيرهما، يحتجون لمثل ذلك بالحديث الموضوع: أول ما خلق الله العقل)[1].



(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٣٣٢، ٣٣٣).

ثالثاً
الصوفية ونظرية (النور المحمدي)

إن الباحث العاقل المنصف يستطيع أن يصل إلىٰ أن نظرية (**النور المحمدي**) أو (**الحقيقة المحمدية**).

ليست من العقائد الإسلامية في شيء، بل يوقن أنها فلسفات مضادة لجوهر التوحيد الإسلامي، ومنافية لمقام النبي الأكرم صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم، كيف لا وهو صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم قد حارب البدع والغلو والإشراك بالله، وجاء بالدين الخالص النقي من كل شائبة، وترك أمته علىٰ المحجة البيضاء، وعلىٰ التوحيد الخالص.

إن العقيدة الإسلامية الصافية، والأخبار الصحيحة كانت ولا تزال خالية من مثل تلك الشوائب والشطحات، ولم يكن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ولا السلف الصالح ولا الجيل الأول يعلم عن تلك الأمور شيئاً، ولو علموها لأنكروها وحاربوها أشد محاربة، لأنها تضاد التوحيد، وتناقض عقيدة الإسلام.

لكن حين دخلت علىٰ المجتمع الإسلامي الصافي

تلك الفلسفات الوثنية والأممية، عن طريق الترجمات والأقليات الدينية والفرق الباطنية، بدأت تلك النظريات الفلسفية الفاسدة تظهر؛ ومنها نظرية **(العقل والفيض)** والتي سميت بـ**(الحقيقة المحمدية)**، وكان ظهورها في البدء علىٰ يد الفرق الباطنية والتي غلفتها بغلافٍ إسلامي تسهيلاً لرواجها بين الناس، ووضعت فيها العديد من الروايات والأخبار، وأُلصِقت ـ ترويجاً لها ـ بنبينا ﷺ!

وتلك حقيقة تاريخية وواقعية، يشهد لها وجود أصول تلك النظرية عند **(أفلوطين)** و**(المسيحية)** ثم وجودها عند الفرق **الباطنية الشيعية**، ثم تسللها في وقتٍ متأخرٍ ـ قياساً علىٰ وجودها عند الشيعة ـ إلىٰ الروايات والفلسفات الصوفيَّة.

يقول المستشرق **(رينولد.ا. نيكولسون)** ـ المتخصص في التصوف الإسلامي ـ بعد أن بيَّن العوامل الأجنبية التي ساهمت في تطور عقيدة بعض المسلمين، ما نصه:

(تغيرت فكرة المسلمين عن شخصية الرسول تغيراً يتفق ومقتضيات الشعور الديني وتطوره. أما الاعتقاد بأزلية **الوجود المحمدي** فقد ظهر في عصر مبكر جداً عند الشيعة، ثم أخذ به أهل السنة من بعدهم)[1].

---

(١) «في التصوف الإسلامي وتاريخه»، نيكولسون، تحقيق: =

ويؤكد ذلك ـ أيضاً ـ الدكتور (**أبو العلا عفيفي**) حيث يقول: (شاع من أوائل عهد الإسلام القول بأزلية محمد ﷺ، أو بعبارة أدق بأزلية (**النور المحمدي**)، وهو قول ظهر بين الشيعة أولاً)[1].

ويقول (**أبو العلا عفيفي**) أيضاً: (أفاضت الشيعة في وصف هذا **النور المحمدي**، فقالوا: إنه ينتقل في الزمان من جيل إلىٰ جيل.. وهو قول نجد له صدىً في الغنوصية المسيحية)[2].

ويؤكد الدكتور **أبو العلا عفيفي** أن **الحقيقة المحمدية** تكونت من عناصر مختلفة، تمثلت في: **الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والفلسفة المسيحية واليهودية**، مضافاً إلىٰ ذلك **عقيدة الإسماعيلية الباطنية والقرامطة**، وأنه بامتزاج تلك العناصر تشكلت معالم وأبعاد نظرية **الحقيقة المحمدية** عند الصوفية[3].

= أبو العلا عفيفي (ص١٥٩)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٥هـ.

(١) «تعليقات أبو العلا عفيفي علىٰ فصوص الحكم»، قسم التعليقات الثاني (ص٣١٩).

(٢) «تعليقات أبو العلا عفيفي علىٰ فصوص الحكم»، قسم التعليقات الثاني (ص٣١٩، ٣٢٠).

(٣) انظر: «تعليقات أبو العلا عفيفي علىٰ فصوص الحكم»، قسم التعليقات الثاني (ص٣٢١).

وكذلك يؤكد الباحث (**ماجد فخري**) تأثر الصوفية بمذاهب الشيعة، خاصة في العلاقة بين فكرة الإمام وكونه علة الوجود ونظرية الحقيقة المحمدية[1].

وهذه شهادة من هؤلاء الباحثين المعاصرين تؤكد أنَّ نظرية (**النور المحمدي**) دخلت إلىٰ السنة عن طريق الشيعة.

أما العلماء القدماء فإنهم ـ كذلك ـ يؤكدون علىٰ أن كثيراً من الفلسفات والأخبار التي دخلت إلىٰ المجتمع الإسلامي إنما طريقها الباطنية التي تأثر بها غلاة الصوفية فأدخلوا في عقائدهم تلك الفلسفات والأخبار الباطنية.

فالمؤرخ (**ابن خلدون**) يتحدث بكلامٍ مهم جداً عن المتأخرين من المتصوفة الذين توغلوا في مذاهب باطنية وفلسفية مثل: الحلول، والوحدة، وغيرها، أمثال: **ابن عربي، وابن سبعين، وابن العفيف التلمساني، وابن الفارض، والنجم الإسرائيلي** ومما قاله **ابن خلدون** عن هؤلاء، ما يلي:

(**كان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلٰهية الأئمة**، مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب

---

(١) انظر: «تاريخ الفلسفة الإسلامية»، ماجد فخري (ص٣٤٣).

الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفية القول بالقطب.. وهو بعينه ما تقوله الرافضة، ودانوا به، ثم قالوا بترتيب وجود بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء.. يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي، وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفية فيه كلام بنفي أو إثبات، **وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم)**[1].

ولعل من أهم النصوص في هذا الباب، هو ما قاله: **(مطهر بن طاهر المقدسي)** ـ وهو متقدم ـ فحين كان رحمه الله يعرض الروايات الحديثية التي تتحدث عن أول مخلوق، ومرَّ علىٰ رواية «**أول ما خلق الله نور محمد**» نسبها إلىٰ المرويات الشيعية التي كانت تروج في عصره، حيث قال ما نصه: (**وسمعت بعض الشيعة يزعمون أن أول ما خلق الله نور محمد وعلي ويروون فيه رواية والله أعلم بحقها**)[2].

وهذا نص مهم إذ يظهر منه أن (**ابن طاهر المقدسي**) لم يكن لديه علم بهذا الخبر، وإنما سمعه ابتداءً من الشيعة، وأنهم هم الذين يروجون روايته وخبره!

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص٤٧٣).

(٢) «البدء والتاريخ»، ابن طاهر المقدسي (١/ ص١٥٠)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

ولبيان طريقة دخول فلسفة (**النور المحمدي الباطنية**) علىٰ الصوفية سأقوم ـ بإذن الله ـ بعرض أهم المُدخلين والمطورين لهذه الفلسفة في الوسط الصوفي، وكيف تطورت علىٰ أيدهم، وكيف استعانوا بالأفكار الباطنية والفلسفات الأفلوطينية لصياغة الصورة النهائية لهذه الفلسفة الصوفية الخاصة بأول موجود، علىٰ النحو التالي:

١ ـ الحسين بن منصور الحلاج:

من المعلوم أن **الحسين بن منصور الحلاج** (قُتل سنة ٣٠٩هـ) قبل أن يكون صوفياً، كان شيعياً باطنياً، وكان ينتسب إلىٰ الشيعة، وكان يدعي النيابة عن مهدي الشيعة (**محمد بن الحسن العسكري**) وكان من غلاة الباطنية الذين أثروا في التصوف كثيراً، وأدخلوا فيه مفاهيم باطنية غالية، وكان ممن سافر للهند وتعلم علومها وفلسفاتها.

فقد كان **الحلاج** ضمن جماعة من الشيعة الغلاة الذين يدعون النيابة عن الإمام الطفل الغائب عند الشيعة، وكان ينتسب إليهم[1].

وكان الحلاج يدعي لنفسه الوكالة عن المهدي،

(١) انظر: «الحدائق الناظرة»، يوسف البحراني الشيعي، تحقيق: محمد تقي الإيرواني (١/ ١٢)، مؤسسة جماعة المدرسين، قم.

ويدعو الشيعة الإمامية إلىٰ ذلك، وذهب إلىٰ قم ودعا بعض أهلها إليه بوصفه رسول الإمام ووكيله[1]. وكان الحلاج يحرص علىٰ إظهار التشيع ويعلنه ويدعو إليه، ويدعي أنه الوكيل للإمام[2].

يقول شيخ الشيعة **المفيد**: (كان الحلاج يتخصص بإظهار التشيع، وإن كان ظاهر أمره التصوف)[3].

وقد درس الحلاج علىٰ يد الداعية الإسماعيلي (**الحسين الأحوازي**) حكمة الأوائل وعلم تأويل الكتاب، وعلم الإمامة، كما درس علىٰ يد (**ثابت بن قرة الحراني**) الفلسفة الأفلوطينية المحدثة[4]. ولعل أهم ما يميز الحلاج بجانب كونه باطنياً هو كونه غنصوياً ـ كما أكد ذلك المستشرق (**كارل هينرش بكر**) ـ متشبعاً بتلك الفلسفة العرفانية النورانية، مثله مثل الباطنية الإسماعيلية[5].

---

(١) انظر: «الغيبة»، الطوسي، تحقيق: عباد الله الطهراني (ص٤٠١)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران ١٤١١هـ.

(٢) انظر: «بحار الأنوار»: المجلسي (٢٥/ ٣٤٥)، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣هـ.

(٣) «الكنىٰ والألقاب»، عباس القمي (٢/ ١٨٧).

(٤) انظر: «الأفلوطينية المحدثة»، الحمد (ص١٣٢).

(٥) انظر: «تراث الأوائل في الشرق والغرب»، كارل هينرش بكر، ترجمة: الدكتور عبد الرحمٰن بدوي (ص٩).

وقد ذهب **الحلاج** في رحلة تعليمية إلىٰ الهند لتعلم السحر وبعض علومها، وذلك بتكليف من قبل الإمام الإسماعيلي[1].

يقول **الإمام الذهبي**: (فسافر إلىٰ الهند وتعلم السحر، فحصل له به حال شيطاني، وهرب منه الحال الإيماني)[2].

وقال **الذهبي** أيضاً: (قال ابن باكويه: سمعت أبا الحسن بن أبي توبة يقول: سمعت علي بن سير أحمد الحاسب يقول: سمعت والدي يقول: وجهني **المعتضد** إلىٰ الهند لأمور أتعرفها له، فكان معي في السفينة رجل يعرف بالحسين بن منصور، وكان حسن العشرة، فلما خرجنا من المركب قلت: لم جئت؟ قال: لأتعلم السحر)[3].

ويؤكد هذا الأمر **الإمام ابن كثير** حيث يقول: (وصح أنه دخل إلىٰ الهند وتعلم بها السحر، وقال: أدعو به إلىٰ الله، وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث أي أنه من رجال الغيث)[4].

---

(١) انظر: «الأفلوطينية المحدثة»، الحمد (ص١٣٢).

(٢) «العبر في خبر من غبر» (٢/ ١٤٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣١٨، ٣١٩).

(٤) «البداية والنهاية»، ابن كثير (١١/ ١٣٣) مكتبة المعارف، بيروت. وانظر: «شذرات الذهب»، ابن العماد الحنبلي، تحقيق: =

يقول **أحمد بن الحسين ابن الحلاج** ـ ابن الحلاج ـ عن والده: (خرج وغاب عنا خمس سنين، بلغ إلىٰ خراسان وما وراء النهر ودخل إلىٰ سجستان وكرمان، ثم رجع إلىٰ فارس، فأخذ يتكلم علىٰ الناس ويتخذ المجلس)[1].

وقد ذكر **إمام الحرمين الجويني** أن الحلاج كان بينه و**الجنابي** رئيس القرامطة علاقة سريَّة، وأن ذلك هو السبب في قتل الحلاج[2].

ولعل ما ذكره **الجويني** يفسر لنا تعاطف الحلاج مع الدولة الفاطمية، ومناصرته لها، وهذا ما نقله **التنوخي** من كلام الحلاج نفسه!

قال **القاضي التنوخي**: (أخبرني بعض أصحابه من الكتاب، قال: خرج له توقيع إلىٰ بعض دعاته، تلاه عليَّ، فحفظت منه قوله فيه: وقد الآن [كذا] أوانك، للدولة

= محمود الأرناؤوط (٢/ ٢٥٣) دار ابن كثير، الطبعة الأولىٰ، دمشق ١٤٠٦هـ.

(١) «تاريخ بغداد (٨/ ١١٣)».

(٢) انظر: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس (٢/ ١٤٦) دار الثقافة، لبنان. و«الوافي بالوفيات»، الصفدي، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ (١/ ٥٥) دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م.

الغراء، الفاطمية الزهراء، المحفوفة بأهل الأرض والسماء، وأذن للفئة الظاهرة، مع قوة ضعفها في الخروج إلىٰ خراسان، ليكشف الحق قناعه، ويبسط العدل باعه)[1].

وقد كان الحلاج يُعرف في بغداد وغيرها بأنه **قرمطيّ**، ومناصر لهم وله بهم علاقة وطيدة، غير ما ثبت عنه من التشيع، ففي سنة إحدىٰ وثلاثمائة ٣٠١ ـ كما ينقل **الذهبي** ـ أدخل الحلاج بغداد مشهوراً علىٰ جمل، وعلق مصلوباً ونودي: **هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه**[2].

يقول ابن تيمية: (والحلاج لما دخل بغداد، كانوا ينادون عليه هذا داعي القرامطة، وكان يظهر للشيعة أنه منهم)[3].

وكانت شخصية **الحلاج** غامضة ومتناقضة، فقد كان محتالاً مشعوذاً، يتعاطىٰ مذاهب الصوفية يتحلىٰ بألفاظهم،

---

(١) «نشوار المحاضرة»، القاضي أبو علي المحسِّن بن علي التَّنوخي (ص٨٦).

(٢) انظر: «العبر في خبر من غبر»، الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد (٢/ ١٢٢)، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، الكويت ١٩٨٤م.

(٣) «العقيدة الأصفهانية»، تحقيق: إبراهيم سعيداي (ص١١٥)، مكتبة الرشد، ط. الأولىٰ، الرياض ١٤١٥هـ.

ويدعي عند أصحابه الألوهية، ويقول بالحلول، ويظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة[1]، وكان في أول أمره كان يدعو إلىٰ الرضا من آل محمد[2].

يقول **الذهبي**: (وكان ظاهره أنه ناسك، فإذا علم أن أهل بلد يرون الاعتزال صار معتزلياً، أو يرون التشيع تشيع، أو يرون التسنن تسنن، وكان يعرف الشعبذة والكيمياء والطب ويتنقل في البلدان)[3]. وقال أيضاً: (ويظهر التشيع للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة)[4].

وهذه الشخصيَّة المتلونة هي طبيعة الشخصية الباطنية، فإن من أساليبهم أن يتقمصوا مذاهب الناس ويندسوا فيها، ويدخلون بعد ذلك فيها ما يفسدها، تمهيداً للدعوة الباطنية، وتأسيساً لأفكارهم الهدامة[5]، ومن ذلك ما فعله **الحلاج** حينما بدأ محاولته في دعوة الإماميَّة

---

(١) انظر: «الفهرست»، ابن النديم (ص٢٦٩)، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨م.

(٢) انظر: «الفهرست»، ابن النديم (ص٢٦٩).

(٣) «العبر في خبر من غبر» (٢/١٤٦، ١٤٧).

(٤) «سير أعلام النبلاء»، الذهبي، تحقيق: شعيب الأناؤوط (١٤/٣١٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ.

(٥) انظر: «الإسماعيلية تاريخ وعقائد»، إحسان إلٰهي ظهير (ص٦٢٢).

الشيعة لسهولة رواج فكره عليهم، فلما لم ينجح في ادعاء النيابة عن المهدي أندسَ في الصوفيَّة ودخل في أمرهم مع كونه شيعياً باطنياً!

ويقول **الخطيب البغدادي**: (أخبرنا علي بن أبي علي عن أبي الحسن أحمد بن يوسف الأزرق أن الحسين بن منصور الحلاج لما قدم بغداد يدعو، استغوىٰ كثيراً من الناس والرؤساء وكان طمعه في الرافضة أقوىٰ لدخوله من طريقهم)[1].

ويقول أيضاً: (الحسين بن منصور الحلاج يكنىٰ أبا مغيث، وقيل: أبا عبد الله، وكان جده مجوسي اسمه **محمي** من أهل بيضاء فارس، نشأ الحسين بواسط، وقيل: بشستر، وقدم بغداد فخالط الصوفية وصحب من مشيختهم: الجنيد بن محمد، وأبا الحسين النوري، وعمرو المكي)[2].

وبهذه المخالطة أدخل الحلاج علىٰ الصوفية الكثير من الأفكار الباطنية والفلسفية، ولعل من أهم ما أدخله:

---

(١) «تاريخ بغداد» (٨/ ١٢٤). وانظر: «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٢٢).

(٢) «تاريخ بغداد»، الخطيب البغدادي (٨/ ١١٢)، دار الكتب العلمية، بيروت.

فكرة الحلول، وفكرة النور المحمدي الأزلي، وهو كذلك الذي فتح باب **وحدة الوجود** لمن بعده من غلاة الصوفية كابن عربي فأشغلهم بها، وفتح باب شر عظيم[1].

ولذلك لم يسترب أهل العلم في كفره، فقد حكم علماء عصره بكفره وردته بسبب عقائده الباطنية الفاسدة، وبسبب انتمائه للحركة القرمطية الباطنية، ففي (سنة ٣٠٩هـ) قتل الحلاج بفتوىٰ من العلماء[2].

قال **ابن كثير**: (وقد اتفق علماء بغداد علىٰ كفر الحلاج وزندقته وأجمعوا علىٰ قتله وصلبه، وكان علماء بغداد إذ ذاك هم الدنيا)[3].

أقول: هذا **الحلاج** الباطني المندس بين الصوفية الأوائل هو ولأول مرة في تاريخ التصوف يجعل النور الإلٰهي الأزلي ينتقل من أول صادرٍ عن الله وهو نور محمد ﷺ، وهذا النور هو نور قديم كان قبل أن تكون

---

(١) «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد»، الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حسن الحلاق، (ص٣٢)، دار الهجرة، اليمن ١٤١١هـ.

(٢) انظر: «العبر في خبر من غبر» (٢/ ١٤٤)، و«شذرات الذهب»، ابن العماد الحنبلي (٢/ ٢٥٧)، و«مرآة الجنان»، اليافعي (٢/ ٢٥٦)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ١٤١٣هـ.

(٣) «البداية والنهاية» (١١/ ١٣٩).

الأكوان، ومنه صدرت الموجودات، ومن نوره ظهرت أنوار النبوات[1].

والحلاج ـ وهو أول شيعي باطني منتسب للتصوف ـ هو أول من أدخل عقيدة الإسماعيلية في الذات الإلٰهية والأسماء والصفات إلىٰ التصوف، وسيكون لها دور كبير في صناعة نظرية **الإنسان الكامل** و**الحقيقة المحمدية** بل الحلاج هو أول من تكلم عن (**الإنسان الكامل**)[2].

يقول عميد الصوفية الحلوليَّة **الحلاج** الشيعي الباطني: (أنوار النبوة من نوره برزت، وأنواره من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور [كذا] وأقدم في القِدم، سوىٰ نور صاحب الحرم. همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم، لأنه كان قبل الأمم والشيم.. وهو سيد أهل البرية، الذي اسمه أحمد.. لم يزل كان [كذا] مشهوراً قبل الحوادث والكوائن والأكوان)[3].

ففي هذا النص المهم من كلام الحلاج نفسه ـ وهو

---

(١) انظر: «الأفلوطينية المحدثة»، الحمد (ص١٣٢).

(٢) انظر: «الأفلوطينية المحدثة»، الحمد (ص١٥٣).

(٣) «كتاب الطواسين»، الحلاج، تحقيق: بولس نويّا اليسوعي (ص١٢٠)، منشورات دار الجمل، ألمانيا ١٩٩٧م.

أول نصٍّ صوفيٍ في هذه المسألة ـ يبيّن فيه بجلاء حقيقة **النور المحمدي**، وطبيعته ووظيفته، وبذلك يكون أول صوفي يفتق الكلام في هذه النظرية الفلسفية، ومنه سوف تلج هذه الفلسفة إلىٰ التصوف[1].

---

(١) مما يجدر التنبيه إليه أنَّ هناك بعض العلماء المتأخرين ـ والذين كان لهم صلة قويَّة بالباطنية أو يُقال أنهم يعتقدون بعض عقائدهم الباطنية ـ قد تسرب إليه فكرة (**أزلية وجود النور المحمدي**) ومن هؤلاء العلامة (**الشهرستاني**) (٥٤٨هـ) الذي أشار إلىٰ فكرة النور في سياق عرضه لمناظرة بين **الصابئة** ومن يسميهم (**بالحنفاء**) حيث عقَدَ الشهرستاني (**مناظرات بين الصابئة والحنفاء**) وقد جرت هذه المحاورات في المفاضلة بين الروحاني المحض وبين البشرية النبوية. انظر: «الملل والنحل»، الشهرستاني (ص١٢٧)، دار مكتبة المتنبي، بيروت، لبنان ١٩٩٢م.

ثم قال بعد ذلك علىٰ لسان الحنفاء: (قد نقل عن كثير من قدماء الحكماء أن المبادئ هي الجسمانيات علىٰ اختلاف منهم في الأول منها أنه نار أو هواء أو ماء أو أرض، واختلاف آخر أنه مركب أو بسيط، واختلاف آخر أنه إنسان أو غيره حتىٰ صارت جماعة إلىٰ إثبات أناس سرمديين.

ثم منهم من يقول: إنهم كانوا كالظلال حول العرش، ومنهم من يقول: إن الآخر وجوداً من حيث الشخص في هذا العالم هو الأول وجوداً من حيث الروح في ذلك العالم، وعليه خرج أن أول الموجودات نور محمد عليه الصلاة والسلام).
«الملل والنحل»، الشهرستاني (ص١٣٧). =

= كما يُفهم من كلام آخر **للشهرستاني** أنه قد تأثر بنظرة **(انتقال النور المحمدي)** الشيعيَّة، حيث يقول عن النبي ﷺ: (النور الوارد من صلب إبراهيم إلىٰ إسماعيل عليه السلام، وتواصله في ذريته إلىٰ أن ظهر بعض الظهور في أسارير عبد المطلب: سيد الوادي، شيبة الحمد، وسجد له الفيل الأعظم، وعليه قصة أصحاب الفيل، ببركة ذلك النور دفع الله تعالىٰ شر أبرهة وأرسل عليهم طيراً أبابيل.. وببركة ذلك النور كان قد سلم إليه النظر في حكومات العرب.. وببركة ذلك النور.. إلخ). «الملل والنحل»، الشهرستاني (ص٢٣٧).

قال **السمعاني** عنه: (كان متهماً بالميل إلىٰ أهل القلاع ـ يقصد الباطنية ـ والدعوة إليهم، والنصر لطامتهم). «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٢٨٧). وقال أيضاً عنه: (هو متهم بالإلحاد، والميل إليهم، غالٍ في التشيع). «التحبير في المعجم الكبير» (٢/ ١٦١).

وقال **الإمام الذهبي**: (اتهم بمذهب الباطنية)، «العبر في خبر من غبر» (٣/ ٧).

وقد بيَّن **شيخ الإسلام ابن تيمية** أن **الشهرستاني** يذكر أحياناً أشياء من كلام الإسماعيلية الباطنية، وقد اتهمه بعض الناس بأنه من الإسماعيلية، وإن لم يكن الأمر كذلك، وقد ذكر من اتهمه شواهد من كلامه وسيرته، وقد يُقال: هو مع الشيعة بوجه ومع أصحاب الأشعري بوجه، **ويبيّن ابن تيمية أنَّ الشهرستاني** بالجملة يظهر الميل إلىٰ الشيعة إما بباطنه وإما مداهنة لهم، فإن هذا الكتاب **«كتاب الملل والنحل»** صنفه لرئيس من رؤسائهم وكانت له ولاية ديوانية وكان **للشهرستاني** =

٢ ـ الفيلسوف الصوفي ابن عربي:

إذا علمنا أن **الحلاج** الباطني هو أول صوفي فتق الكلام في مسألة **(النور المحمدي)** وتحدث عن طبيعته ووظيفته؛ فإن **ابن عربي** هو الفيلسوف الصوفي الذي أكمل وأتم هذه المسألة، وأشبعها حديثاً واستطراداً، حتىٰ اكتملت ملامحها، ونضجت علىٰ يده.

وإذا كان **الحلاج** الشيعي الباطني ـ كما بينا سابقاً ـ هو أول من تحدث من الصوفية عن **(الحقيقة المحمدية)** فإن **ابن عربي** لم يستغن عن الباطنية **الإسماعيلية** ـ كذلك ـ في بناء فلسفته حول هذه المسألة، فالرجل استعار تراث **أفلوطين** الخاص **(بالفيض والعقول)** عن طريق **الإسماعيلية**، كما استفاد منهم في إتمام وإكمال ملامح **الحقيقة المحمدية**.

= مقصود في استعطافه له، وكذلك صنف له كتاب المصارعة بينه وبين ابن سينا لميله إلىٰ التشيع والفلسفة، وأحسن أحواله أن يكون من الشيعة إن لم يكن من الإسماعيلية؛ أعني المصنف له، ولهذا تحامل فيه للشيعة تحاملاً بيناً. انظر: «منهاج السنة» (٦/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧).

أقول: مما يؤكد ميل **الشهرستاني** للباطنية ـ إما علىٰ الحقيقة أو المداهنة ـ الكاتب الذي ألفه علىٰ طريقة الباطنية وهو كتاب «**مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار**» وهذا يدل علىٰ تأثره به وميله إليهم، ومن هنا دخلت عليه فكرة **(أزلية وجود النور المحمدي)** التي ساقها بلا سند ولا توثيق بل نسبها للحنفاء!

ويؤكد هذه الرأي المؤرخ **ابن خلدون** الذي بيَّن أن المتأخرين من المتصوفة **كابن عربي، كانوا مخالطين للإسماعيلية** فأشربوا مذهبهم واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وأنَّ كلام الصوفية في القطب، وترتيب الوجود **إنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم**[١].

وكذلك يؤكد **شيخ الإسلام ابن تيمية** أنَّ **الفاطميين وأخوان الصفا** فلاسفة الصوفية **كابن عربي** يعتقدون عقيدة واحدة في العقل الأول، ويرون أنه هو رب السماوات والأرض وما بينهما، وكذلك ينطلقون من منطلق واحد، وجميعهم يستدل بدليل واحد علىٰ زعمهم، وهو الحديث الموضوع: «أول ما خلق الله العقل»[٢].

ومن يتتبع سيرة **ابن عربي** يجد أنَّ الرجل قد تعرف علىٰ الإسماعيلية في شبابه، وأنه قد وقع في شباكهم التي نصبوها له، حين قدم من الأندلس لأول مرة إلىٰ مكة المكرمة، وكانت في مكة جمعيَّة سرية باطنية، استطاعت أن تحتوي الرجل وتضمه إلىٰ صفوفها، وتبث كثيراً من أفكارها في أفكاره وكتبه.

---

(١) انظر: «مقدمة ابن خلدون» (ص٤٧٣).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٣٣٢، ٣٣٣).

وكان للباطنية ـ كما هو معلوم ـ نظام خاص بهم للدعوة إلىٰ مذهبهم السري، لا يوجد لأحد غيرهم إلا ما يُنقل عن **الماسونية** ومجالسها ونظامها وهيكلها، وهذا النظام السريُّ يقوم علىٰ استقطاب الأفراد الجدد وفق منظومة سريَّة تعتمد مراتب ووسائل معقدة تقوم علىٰ الانحلال والإباحية، واستخدام جميع الوسائل لنيل أغراضهم وأهدافهم.

ومن تلك المراتب السريَّة مرتبة **(التفرس)** وتقوم علىٰ عدم دعوة الشخص إلىٰ المذهب مباشرة، بل يُبحث فيها عن معتقد الشخص وما يميل إليه في طبعه ومذهبه، فإن كان الإنسان في طبعه مائلاً إلىٰ المجون والخلاعة كُرّسَ ذلك له، وزين في نظره، وقُرب إليه، ورتب لذلك اجتماعات وخلوات بين الرجال والنساء[١].

ولم تكن نفسُ ابن عربي في شبابه بعيدة أو صعبة علىٰ الشباك الباطنية، لأنه كان قريب الهوىٰ من النساء، وكان تشببه بهن كبير، وولعه بالشهوات والغزل عظيم، ويحاول أن يفلسفه ويغلفه بسفسطات لا تخفىٰ علىٰ العقلاء، وإن كانت تنطلي علىٰ السذج من الصوفية.

---

(١) انظر: «الإسماعيلية تاريخ وعقائد»، إحسان إلـٰهي ظهير (ص٥٩٣ ـ ٦٢٢).

ولم يكن **ابن عربي** يرىٰ بأساً من أن يغلف شغفه بالنساء والجنس بعقيدته تجاه الله ـ تعالىٰ الله ـ حيث يرىٰ أن كمال شهود الحق يجسد في المرأة، وأن الشغف بالنساء وحبهن إنما لكون شهود الحق ـ سبحانه ـ يكون أعظم وأكمل في النساء!

يقول **ابن عربي**: (فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة، فلهذا أحب النبي ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً، فإن الله بالذات غني عن العالمين، وإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً، ولم تكن الشهادة إلا في مادة، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله)[1].

ومن ذلك ما كان يحكيه عن نفسه، حيث يقول: (كنتُ أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتي وهزني حال كنت أعرفه، فخرجت من البلاط من أجل الناس، وطفت علىٰ الرمل، فحضرتني أبيات فأنشدتها أُسمع بها نفسي ومَنْ يليني لو كان هناك أحد، وهي قوله:

ليت شعري هل دروا
أيَّ قلب ملكوا

---

(١) «فصوص الحكم»، ابن عربي (ص٢١٧).

وفـــــــؤادي لـــــــو دَرَىٰ

أيَّ شِـــعـــب ســـلـــكـــوا

أتـــراهـــم ســـلـــمـــوا

أم تـــراهـــم هـــلـــكـــوا

حـــار أربـــاب الـــهـــوىٰ

فـــي الـــهـــوىٰ وارتـــبـــكـــوا

فلم أشعر إلا بضربة بين كتفيَّ بكفٍ ألين من الخز، فالتفتُ فإذا بجارية من بنات الروم، لم أرَ أحسن منها وجهاً، ولا أعذب منطقاً، ولا أرق حاشية، ولا ألطف معنىٰ، ولا أدق إشارة، ولا أظرف محاورة منها، قد فاقت أهل زمانها ظرفاً وأدباً وجمالاً ومعرفة..

فقلتُ: يا بنتَ الخالة ما اسمُكِ؟

قالت: قُرة العين.

فقلتُ: لي.

ثم سلمت وانصرفت، ثم إني عرفتها بعد ذلك، وعاشرتُها، فرأيتُ عندها من لطائف المعارف الأربع ما لا يصفه واصف)[1].

---

(١) «ديوان ترجمان الأشواق»، ابن عربي، عناية: الدكتور عمر الطباع (ص٣١ ـ ٣٣)، دار الأرقم، الطبعة الأولىٰ، بيروت ١٤١٧هـ.

فكان عند الرجل قابلية كبيرة لاستلطاف النساء والدخول معهن في حوار غزلي، بل ومعاشرتهن، كما كانت له قابلية سريعة في السقوط في حبائلهن!

وكان **لابن عربي** من العمر حين زار مكة (٣٨ سنة) وفيها نزل في ضيافة أسرة فارسية أصفهانية، قد هاجرت من إيران إلىٰ الحجاز، وقد كان اتصال **ابن عربي** بعقائد الباطنية بدأ حينما اجتمع مع هذه الأسرة، حيث التقىٰ بشيخه الشيخ **مكين الدين زاهد بن رستم بن أبي الرجا الأصفهاني**، وكان فارسياً باطنياً، وكانت له أخت أطلق عليها ابن عربي لقب (**شيخة الحرمين ومربية البلد الأمين**) كما كان لشيخه ابنة اسمها (**النظام**) وكانت طفلة بارعة الجمال عمرها في السابعة عشر، باهرة الجمال، فاتنة القوام، نورانية البهاء، سِحْرُ لَحْظِها، وحلاوة منطقها يفتن كلَّ من يجلس في حضرتها، ولجمالها الفتان وقع الشاب الأندلسي في حبِّها من فوره، وفتن بها، واشتعلت نفسه اشتياقاً وشغفاً بها، وجرىٰ بينهما من المعاشرة والتعانق والوصال ما جرىٰ!

يقول **ابن عربي**: (فإني لما نزلت مكة سنة ٥٩٨هـ ألفيت فيها جماعة من الفضلاء، وعصابة من الأكابر الأدباء والصلحاء بين رجال ونساء، ولم أرَ فيهم مع فضلهم مشغولاً بنفسه، مشغوفاً فيما بين يومه وأمسه؛ مثل

الشيخ العالم الإمام بمقام إبراهيم ﷺ، نزيل مكة البلد الأمين، مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رسم أبي الرجا الأصفهاني)[1].

ثم يتابع الكلام ويحكي قصته مع الطفلة الفاتنة: (وكان لهذا الشيخ ﷺ، بنتٌ عذراء، طفيلة هيفاء، تقيد النظر، وتزين المَحَاضر والمُحَاضِر، وتحير المناظر، تسمىٰ بالنظام وتلقب بعين الشمس والبها.. ساحرة الطرف، عراقية الظرف، إن أسهبت أتعبت، وإن أوجزت أعجزت، وإن أفصحت أوضحت.. مسكنها جياد، وبيتها من العين السواد، ومن الصدر الفؤاد)[2].

ولأجل هذه الطفلة الفاتنة كتب كتابه «**ترجمان الأشواق**» ونثر فيه شعره ومشاعره، وفضح سره، وأعلن وصاله.

يقول ابن عربي: (فقلدناها ـ أي الطفلة نظام ـ من نظمنا في هذا الكتاب أحسن القلائد بلسان النسيب الرائق، وعبارات الغزل اللائق، ولم أبلغ في ذلك بعض ما تجده النفس، ويثيره الأنس.. إذ هي السؤال والمأمول، والعذراء البتول، ولكن نظمنا فيها بعض خاطر

(١) «ديوان ترجمان الأشواق»، ابن عربي (ص٢٨).

(٢) «ديوان ترجمان الأشواق»، ابن عربي (ص٢٩، ٣٠).

الاشتياق، من تلك الذخائر والأعلاق، فأعربتُ عن نفس توّاقة، ونبهت علىٰ ما عندنا من العلاقة)[1].

فهذه الفتاة الساحرة هي التي أوحت إلىٰ ابن عربي قصائد ديوانه «**ترجمان الأشواق**»، والتي راح يتغزل بها ويصف ما جرىٰ بينهما من علاقة ساخنة، ومما قاله فيها:

يا حادي العيس بسلع عرج
وقف علىٰ البانة بالمدرج
ونادهم مستعطفاً، مستلطفاً
يا سادتي هل عندكم من فرج
يا حُسنها من طفلة غُرتها
تُضيء للطارق مثل السرج
لؤلؤة مكنونة في صدف
من شعرٍ مثل سواد السبج
يحسبها ناظرها ظبي نقاً
من جيدها وحسن ذاك الغنج
إن حسرت برقعها، أو سفرت
أزرت بأنوار الصباح الأبلج
ناديتها بين الحمىٰ وارمة
من لفتىٰ حل بسلع يرتجي

(١) «ديوان ترجمان الأشواق»، ابن عربي (ص٣٠).

مـن لـفـتـىٰ دمـعـتـه مـغـرقـة
أسـكـرهُ خـمـرٌ بـذاك الـفـلـج
مـن لـفـتـىٰ زفـرتـه مـحـرقـة
تـيـمـه جـمـال ذاك الـبـلـج
قـد لعـبت أيـدي الـهـوىٰ بـقـلـبـه
فما عليه في الذي من حرج[1]

وقال فيها ـ أيضاً ـ وهو يشتعل حرارة واحتراقاً لها، وقد أصبح لا يرىٰ في الوجود إلا طفلته، وأصبح لا يؤمن إلا بالحب:

ومن عجب الأشياء ظبيٌ مُبرقعٌ
يشير بعُنابٍ، ويومي بأجفان
ومرعاه ما بين الترائب والحشا
ويا عجباً من روضة وسط نيران
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعىٰ لغزلان ودير لرهبان
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبة طائفٍ
وألواح توارة ومصحف قرآنِ
أدينُ بدين الحُب أنىٰ توجهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني[2]

---

(١) «ديوان ترجمان الأشواق»، ابن عربي (ص٥٥ ـ ٥٧).
(٢) «ديوان ترجمان الأشواق»، ابن عربي (ص١٤٩، ١٥٠

ثم يحكي شوقه للطفلة ابنة شيخه الباطني، وما كان يجري بينهما:

مرضي من مريضة الأجفان
علّلاني بذكرها علّلاني
بأبي طفلة لعوب تهادي
من بنات الخدور الغواني
طال شوقي لطفلة ذات نثر
ونظام ومنبر وبيان
من بنات الملوك من دار فرس
من أجل البلاد من أصبهان
هي بنت العراق بنت إمامي
وأنا ضدها سليل يماني
هل رأيتم يا سادتي أو سمعتم
أن ضدين قط يجتمعان
لو ترانا برامة نتعاطىٰ
أكؤساً للهوىٰ بغير بنان
والهوىٰ بيننا يسوق حديثاً
طيباً مطرباً بغير لسان
لرأيتم ما يذهب العقل فيه
يمنٌ والعراق معتنقان[1]!

---

(١) «ديوان ترجمان الأشواق»، ابن عربي (ص١٥٥ ـ ١٦٠).

وبعد معاشرة **ابن عربي** لتلك الطفلة ووقوعه في حبها، أُدخل في سلك (**إخوان مكة**) وهم جمعية باطنية إسماعيلية، وكتب تحت إيحائهم وطلباً منهم كتابه «**الدرة الفاخرة**»[١].

ثم بعد ذلك سافر **ابن عربي** إلىٰ القاهرة سنة (٦٠٣هـ) وسكن في حارة تسمىٰ (**القناديل**) وهي حارة تعج بالصوفية والباطنية[٢].

وهذه العلاقة القويّة بالباطنية تركت بصمتها الواضحة والراسخة في فلسفة **ابن عربي** الصوفية كلها، وعلىٰ وجه الخصوص فلسفته في **الحقيقة المحمدية** حيث لا يختلف **ابن عربي** في شيء يذكر عما ذهب إليه **الإسماعيلية** الباطنية، بل كان يتابعهم خطوة بخطوة، واستفاد منهم كثيراً، حتىٰ يمكن القول: إن فلسفته في **الفيض والعقل الأول، والحقيقة المحمدية** مطابقة تماماً لعقيدة الإسماعيلية!

يقول الدكتور (**أبو العلا عفيفي**): (أننا لا نجد قبل الإسماعيلية ولا بعدهم سوىٰ ابن عربي من اعتبر القطب (**الحقيقة المحمدية**) مبدأ كليًّا عامًّا سارياً في الكون

---

(١) انظر: «الأفلوطينية المحدثة»، الحمد (ص١٥٠ ـ ١٥٢).

(٢) انظر: «الأفلوطينية المحدثة»، الحمد (ص١٥١).

بأسره، وأصلاً لكل علم وكل حياة وكل خلق، أو اعتبره والله عيناً واحدة وحقيقة واحدة)[1].

بل إن كون ابن عربي من الباطنية الإسماعيلية شهد عليه أحد العلماء العارفين به، وهو الحافظ **ابن مَسْدي الأندلسي** ـ تلميذ ابن عربي وبلديّه ـ، فيقول الحافظ **الذهبي**: (قرأتُ بخط ابن مسدي يقول عن ابن العربي:

.. وعندي من أخباره عجائب، وكان ظاهري المذهب في العبادات، **باطني النظر في الاعتقادات**، ولهذا ما ارتبتُ في أمره، والله أعلم بسرّه)[2].

ووفق هذا المفهوم الباطني، اعتقد ابن عربي أنَّ **(الحقيقة المحمدية)** ليست هي الشخصية التاريخية المحدودة بالزمان والمكان، بل هي الذات الإلـٰهية، فهي الكلمة الأولىٰ ومبدأ الخلق والإبداع وبواسطتها أوجد العالم[3].

وهنا تشبه نظرية **(الحقيقة المحمدية)** عند ابن عربي

---

(١) «ابن الفارض والحب الإلـٰهي»، الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي (ص٣٦٢)، دار المعارف، القاهرة.

(٢) «تاريخ الإسلام»، وفيات ٦٣٨ (ص٣٧٥).

(٣) انظر: «نظرية المعرفة عند الفلاسفة المسلمين»، علي جابر (٢٠٨)، دار الهادي، لبنان.

نظرية **الإمام** وأنه علة الوجود في مذهب[1]. ويغير ابن عربي مسمىٰ الإمام **بالقطب** ويجعله مبدأ الوجود وأصل الحياة والتكوين، وواسطة الخلق، ومنبع العلم، ومفيض القدرة علىٰ التصرف[2].

يقول الدكتور (**أبو العلا عفيفي**) بعد أن تحدث عن عقيدة ابن عربي في الحقيقة المحمدية: (في هذا الوصف الإجمالي لما يسميه ابن عربي (**الكلمة المحمدية**) أو (**الحقيقة المحمدية**) عناصر مختلفة مستمدة من الفلسفة **الأفلاطونية** الحديثة، والفلسفة **المسيحية واليهودية**، مضافاً إلىٰ ذلك بعض أفكار من مذهب **الإسماعيلية** الباطنية والقرامطة، مزج جميع تلك العناصر علىٰ طريقته الخاصة، فضيع بذلك معالم الأصول التي أخذ عنها)[3].

وهذه حقيقة علميَّة واضحة، تجدها بجلاء في كلام ابن عربي نفسه، حيث تجده يطلق مسمىٰ (**الحقيقة المحمدية**) علىٰ ما يسميه اليونان والباطنية (**العقل الأول**) ويصرح بذلك، ويغير المصطلح اليوناني (**الهيولىٰ**) ويسميه (**الهباء**).

---

(١) انظر: «تاريخ الفلسفة الإسلامية»، ماجد فخري (ص٣٤٣).

(٢) «ابن الفارض والحب الإلـٰهي»، الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي (ص٣٦٢)، دار المعارف، القاهرة.

(٣) «تعليقات أبي العلا عفيفي علىٰ فصوص الحكم»، قسم التعليقات الثاني (ص٣٢١).

وهكذا يحاول أن يغير الأسماء والمصطلحات بما يقارب كلمات الشرع لتقريبها إلىٰ النفوس.

يقول **ابن عربي**:[1] (المفعول الإبداعي، الذي هو **الحقيقة المحمدية** عندنا[2]، **والعقل الأول** عند غيرنا[3]، وهو القلم الأعلىٰ الذي أبدعه الله تعالىٰ من غير شيء)[4].

ثم يقول: (ثم إنه سبحانه تجلَّىٰ بنوره إلىٰ ذلك **الهباء** ـ ويسميه أصحاب الأفكار **الهيولىٰ** الكلّ ـ، والعالم كلّه فيه القوة والصلاحية، فقبل منه كل شيء في ذلك **الهباء**، علىٰ حسب قوته واستعداده، كما تقبل زوايا البيت نور السراج، وعلىٰ قدر قربه من ذلك **النور** يشتد ضوءُه وقبوله. قال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فشبَّه نوره بالمصباح، فلم يكن أقرب إليه تعالىٰ قبولاً في ذلك **الهباء إلا حقيقة محمد** ﷺ المسماة **بالعقل**، فكان سيد

---

(١) **أقول**: إذا أحلتُ إلىٰ كتاب «الفتوحات المكية» دون تفصيل فإنما أعني الفتوحات بتحقيق الدكتور عثمان يحيىٰ، لأني أستعين بنسختين، لكن اعتمادي الأكبر علىٰ نسخة الدكتور عثمان، وهذا للتنبيه.

(٢) يقصد: الصوفية.

(٣) يقصد: أفلوطين الفيلسوف ومن تابعه كالإسماعيلية والباطنية.

(٤) «الفتوحات المكيَّة» (٢/ ٩٧).

العالم بأسره، وأول ظاهر في الوجود، **فكان وجوده من ذلك النور الإلـٰهي، ومن الحقيقة الكلية. وفي الهباء وُجد عينه، وعين العالم من تجليه، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب**[1]**، وأسرار الأنبياء**[2].

ويتحدث **ابن عربي** عن (**الحقيقة المحمدية**) ويطلق عليها عدة مسميات؛ منها: الكلمة، روح محمد، الدرة البيضاء، العقل الأول، الروح الأعظم، الحق المخلوق به[3].

يقول **ابن عربي** شارحاً بعض ألفاظ الصوفية: (الورقاء: النفس الكلية وهو اللوح المحفوظ)[4]. وقال: (الدرة البيضاء: العقل الأول، الزمردة: النفس الكلية)[5]. وقال ابن عربي: (الدرة البيضاء الذي هو العقل الأول)[6].

---

(١) **أقول**: هنا يظهر الأثر الشيعي في ابن عربي، ويتطابق كلامه مع فلسفة الإسماعيلية والشيعة في أول موجود!

(٢) «الفتوحات المكيَّة»، ابن عربي (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٣) انظر: «ابن الفارض والحب الإلـٰهي»، الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي (ص٣٥٧، ٣٥٨)، دار المعارف، القاهرة.

(٤) «اصطلاحات الصوفية»، لابن عربي (ضمن مجموعة رسائل ابن عربي: ١/ ٥٦٤).

(٥) «اصطلاحات الصوفية»، لابن عربي (ضمن مجموعة رسائل ابن عربي: ١/ ٥٦٥).

(٦) «الفتوحات المكية» (١/ ٢٠٩).

ثم يفصّل ابن عربي هذه المصطلحات، ويبيّن المقصود منها، مع إضافة الجديد منها، وهنا تلاحظ الكلمات الغريبة، والمسميات العجيبة!

يقول ابن عربي: (فإن قلت: وما الدرة البيضاء؟ قلنا: **العقل الأولُ** صاحبُ علم السِمسِمَةِ. فإن قلت: وما السِمسِمَةُ؟ قلنا: السمسِمَة هي معرفة دقيقة، في غاية الخفاء، تدق عن العبارة، ولا تدرك بالإشارة، مع كونها ثمرة شجرة.

فإن قلت: وما هذه الشجرة؟ قلنا: هذه الشجرة هي **الإنسان الكامل**، مدبر هيكل الغراب.

فإن قلت: وما الغرابُ؟ قلنا: الغُرابُ هو الجسمُ الكُلُّ، الذي هو أوَّلُ صورةٍ قَبِلَ الهَبَاءَ، ويَنظُرُ إليه «العقابُ» بوساطة «الورقاء».

فإن قلت: وما العقاب؟ قلنا: العقاب هو الروح الإلـٰهي الذي ينفخ الحقُّ منه في «الهياكل» كلها، أرواحها المحركة لها والمسكنة. والورقاء هي النفس التي بين الطبيعة والعقل، ودون الطبيعة هي العنقاء. فإن قلت: وما العنقاء؟ قلنا: العنقاء هي الهباء، فإنها لا موجودة ولا معدومة)[1].

---

(١) «الفتوحات المكية»، ابن عربي، تحقيق: عثمان يحيىٰ (١٣/ ١٨٩ - ١٩١).

ثم يبيّن **ابن عربي** بجلاء مطابقة الحقيقة المحمدية للعقل الأول عند **أفلوطين**، ويتطابق تفسير ابن عربي **(لنظرية الخلق)** القائمة علىٰ صدور عالم الكثرة عن الواحد، مع تفسير **أفلوطين** بتمامه، وهو بذلك أيضاً يلتقي مع الإسماعيلية في نفس التفسير!

يقول ابن عربي: (اعلم أن **الحقيقة المحمدية** مسماة **بالعقل الأول**، **وبالقلم** الذي علم الله به الخلق كلهم، **وبالحق** الذي قامت به السماوات والأرض، وبالباء).

وأحسن أسماء هذه الأسماء: **الحقيقة المحمدية**: الباء، من حيث ظهور الأشياء بها. وإنما ظهرت الأشياء بالباء، إن الحق تعالىٰ واحد، فلا يصدر عنه إلا واحد، فكان الباء، أول شيء صدر عن الحق تعالىٰ، فهي ألف علىٰ الحقيقة، وحداني من جهة ذاتها، وهي باء من جهة مرتبتها، لأنها ظهرت في المرتبة الثانية من الوجود)[1].

ثم يشرع ابن عربي في شرح وبيان كيفية خروج العالم إلىٰ الوجود، معتمداً علىٰ **(الهباء)** الذي هو في حقيقة مصطلح **(الهيولىٰ)** عند الفلاسفة اليونان، كما صرح هو بذلك.

---

(١) «تنبيهات علىٰ علو الحقيقة المحمدية العلية»، لابن عربي: ضمن مجموعة رسائل ابن عربي (١/ ٣٩٤)، دار المحجة البيضاء ودار الرسول الأكرم، حارة حريك، لبنان ٢٠٠٠م.

يقول **ابن عربي**: (بدء الخلقِ: **الهباءُ**. وأول موجود فيه: **الحقيقة المحمدية** الرحمانية، ولا أين يحصرها لعدم التحيز. وممَ وُجِد العالم؟ وجد من الحقيقة المعلومة، التي لا تتصف بالوجود ولا بالعدم. وفيم وُجد؟ وجد في الهباء)[1].

ويقول **ابن عربي** أيضاً: (فلما أراد الله وجود العالم، وبدأه علىٰ حدّ ما علمه بعلمه بنفسه، انفعل عن تلك الإرادة المقدسة، بضرب تجلّ من تجليات التنزيه، إلىٰ الحقيقة الكلية.

نقول: انفعل عنها حقيقة تسمىٰ **الهباء**، وهي بمنزلة طرَحِ البَنَّاءِ الجِصَّ، ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور، وهذا أول موجود في العالم)[2].

وهذا الذي يقوله **ابن عربي** هو عين ما يسميه الفلاسفة اليونان **بالهيولىٰ** التي هي مادة الوجود، وهي مادة أولىٰ غير معينة أصلاً، وهي القابلة للتشكل عبر **الصورة**، وهذه **الصورة** هي المبدأ الذين يعين **الهيولىٰ** ويعطيها ماهية خاصة.

---

(١) «الفتوحات المكية»، ابن عربي (٢/ ٢٢٠).

(٢) «الفتوحات المكيَّة»، ابن عربي، تحقيق: د. عثمان يحيىٰ، د. إبراهيم مدكور (٢/ ٢٢٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٥هـ.

والهيولىٰ والصورة هما من علل الوجود الأربع عند أرسطو[1].

ويقول **ابن عربي يخاطب** ـ بزعمه ـ النبي ﷺ حينما شاهده في عالم المثال وفي حضرة الجلال، في مكاشفة قلبية:

(إن أحق ما سمع من النبأ، وأتىٰ به هدهد الفهم من سبأ، وجود الفلك المحيط، الموجود في العالم المركَّب والبسيط المسمىٰ **بالهباء**، وأشبه شيء به الماء والهواء، وإن كانا من جملة صوره المفتوحة فيه، ولما كان هذا الفلك أصل الوجود، وتجلَّىٰ له اسم **النور** من حضرة الجود، كان الظهور. وقبلت **صورتك صلىٰ الله عليك** من ذلك الفلك أول فيض ذلك **النور**. فأنت أبٌ لنا في الروحانية، كما كان ـ وأشرتُ إلىٰ آدم صلى الله عليه في ذلك الجمع ـ أباً لنا في الجسمية)[2].

وقال: (**فالحقيقة المحمدية** صورة لاسم «الله» الجامع لجميع الأسماء الإلـٰهية، الذي من الفيض علىٰ جميعها، فهو تعالىٰ ربه. **فالحقيقة المحمدية** التي هي

---

(١) «في تاريخ الفلسفة اليونانية»، عوض الله حجازي (ص١٥٤ ـ ١٥٦).

(٢) «الفتوحات المكيَّة» (١/ ٥٤، ٥٥).

ترب صورة العالم كلها بالرب الظاهر فيها، الذي هو رب الأرباب. فبظاهرها ترب ظاهر العالم، وبباطنها ترب باطن العالم، لأنه صاحب **الاسم الأعظم**[١] وله الربوبية المطلقة)[٢].

ويستمر **ابن عربي** في شرحه وتفسيره صدور العالم ووجوده **العقل الأول**، وكيف فاضت عنه الأشياء كلها في هذا الوجود فيضاً إجمالياً وتفصيلياً.

يقول: (اعلم أن الحق تعالىٰ تجلىٰ لذاته بذاته، وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته، وأراد أن يشاهدها في حقيقة تكون كالمرآة، فأوجد **الحقيقة المحمدية** التي هي أصل النوع الإنساني في الحضرة العلمية، فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجوداً إجمالياً، ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيلياً، فصارت أعياناً ثابتة)[٣].

---

(١) يقول **عبد الرزاق الكاشاني**: (**الاسم الأعظم**: هو الاسم الجامع لجميع الأسماء. وقيل: هو الله، لأنه اسم الذات الموصوفة بجميع الصفات). «اصطلاحات الصوفية»، الكاشاني (ص٩).

(٢) «تنبيهات علىٰ علو الحقيقة المحمدية العلية»، لابن عربي (١/ ٤٠٦).

(٣) «تنبيهات علىٰ علو الحقيقة المحمدية العلية»، لابن عربي (١/ ٤٠٧).

ثم يحاول **ابن عربي** أن يسعف نظريته الفلسفية ببعض الآثار والأخبار الدينية الموضوعة، التي تُشير إلىٰ وجودٍ قديم وأزلي **للعقل** أو **النور**، والذي ستفسره بعض الروايات الأخرىٰ الموضوعة بأنه **روح محمد** صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم.

يقول ابن عربي: (لأنه - يقصد النبي ﷺ - قال: «أول ما خلق الله تعالىٰ نوري» الذي سماه «**عقلاً**» بقوله: «**أول ما خلق الله تعالىٰ العقل**». فأعطاه رتبة الفاعلية، بأن جعله خليفة متصرفاً في الوجود العيني، معطياً لكل من العالم كماله، **فالروح المحمدي**: هو المظهر الرحماني الذي استوىٰ علىٰ العرش)[1].

وبعد ذلك؛ أي: بعد أن فسر ابن عربي صدور العالم، وتحدث عن **العقل الأول** وأنه هو عين **الحقيقة المحمدية**، يضيف مصطلحاً آخر لهذا العقل ولهذه الحقيقة المحمدية وهو **الإنسان الكامل** الذي هو الذات الإلـٰهية، والكلمة الأولىٰ، ومبدأ الخلق والإبداع وبواسطتها أوجد العالم، وهو أصل الحياة والتكوين.

يقول **ابن عربي**: (اعلم أن مرتبة **الإنسان الكامل**، الذي لا أكمل منه من العالم: مرتبة النفس الناطقة من

---

(١) «تنبيهات علىٰ علو الحقيقة المحمدية العلية»، لابن عربي (١/ ٤١٦).

الإنسان، وهو **سيدنا محمد** الذي هو الغاية [illegible] العالم)[١].

ثم يسند لهذا الإنسان ما أسنده الإسماعيلية للعقل الأول[٢]، فالأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ ليست لله؛ بل هي للعقل الأول الذي هو الإنسان الكامل!

ويقول **ابن عربي**: (فكانت هذه الأسماء الإلـٰهية علىٰ هذا **الإنسان الكامل** أشد مطابقة منها علىٰ المسمىٰ الله)[٣].

ويقول: (مقام أصل الوجود وسيده، ومبدأ العالم وممده، وهو **سيدنا محمد** الذي اتخذه الله حبيباً كما اتخذ غيره خليلاً. فمن حقيقة هذا السيد تفرعت الحقائق كلها، علواً وسفلاً، فأعطىٰ الله تعالىٰ أعلا المقامات وهو المحبة

---

(١) «تنبيهات علىٰ علو الحقيقة المحمدية العلية»، لابن عربي (١/ ٣٩٥).

(٢) أقول: سيأتي، بإذن الله، بيان فلسفة الإسماعيلية في نفي الأسماء والصفات عن الله ومنحها للعقل الأول، وكيف استفاد ابن عربي ومن جاء بعده من الإسماعيلية والباطنية في ذلك حيث سلبوا عن الله الأسماء والصفات ومنحوها للإنسان الأول أو الحقيقة المحمدية.

(٣) «الفتوحات المكية»، ابن عربي، تحقيق: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث الإسلامي (٣/ ٢٦٠).

لأصل الموجودات وهو **سيدنا محمد**)[1].

وهكذا يتابع **ابن عربي** مذهب **الإسماعيلية في** أن الله ﷻ منزه عن الصفات والأسماء، وأنه الحق أبدع من ذاته **العقل الأول** وجعله علة للموجودات، العلوية والسفلية.

ثم بواسطة **المبدع الأول** وجدت المخلوقات كلها العلوية الروحانية، والسفلية الجسمانية، وبذلك يتفق ابن عربي والإسماعيلية تفسير **صدور العالم** عن الخالق، كما أنهم اتفقوا علىٰ إطلاق اسم **العقل الأول** علىٰ النبي محمد ﷺ ليحتل محل ذلك (**العقل**) ويقوم مقامه.

وكما يؤكد المستشرق (**كارل هينرش بكر**) فأن هذه الفلسفة المشتركة بين ابن عربي والباطنية، والتي هي غنوصية أفلوطينية قد غيرت صورة النبي محمد ﷺ ـ عند الصوفية في العصور المتأخرة ـ من نبي مرسل إلىٰ عقلٍ مؤله موجود منذ الأزل، وكان ذلك سبباً في إيجاد ما يشبه عبادة النبي محمد ﷺ[2].

---

(١) «تنبيهات علىٰ علو الحقيقة المحمدية العلية»، لابن عربي (١/ ٤٠٤).

(٢) انظر: «تراث الأوائل في الشرق والغرب»، كارل هينرش بكر، ترجمة: الدكتور عبد الرحمٰن بدوي (ص١٢).

يقول المستشرق **هانز هينرش شيدر**: (وهذا الأثر الهائل لفكر **ابن عربي** يوضح لنا في الوقت نفسه كيف أن فكرة **الإنسان الكامل** قد أصبحت هي الفكرة الموجهة للتصوف الإسلامي المتأخر ذي النزعة **الغنوصية**، ذلك أن هذه الفكرة هي حجر الزاوية والمعنىٰ الباطن الجوهري في مذهب **ابن عربي** كله)[1].

ويقول **أيضاً**: (أتم ابن عربي التفكير الخاص **بالإنسان الأول** مما كان في أصله إيرانياً غنوصياً، ثم عُدِّل عن طريق ميتافيزيقا العقل والكلمة «**اللوغوس**» الهيلينية، وربط بينه وبين نظرية النبي والولي)[2].

٣ ـ نظرية الإنسان الكامل عند الصوفية:

الإنسان الكامل فكرة فلسفية باطنية ـ صوفية، كانت رائجة في الأمم المتصوفة من قبل الإسلام، وقد بيّن المستشرق (**هانز هينرش شيدر**) أنَّ فكرة الإنسان الكامل بلغت كمال نموها في الغنوص الإسلامي، وهي بدورها تعود في جذورها إلىٰ صورة الإنسان في التفكير الإيراني القديم، والذي كان في الإنسان الأول يؤدي أولاً وظيفة

---

(١) «نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين»، هانز هينرش شيدر (ص٦٥).

(٢) «نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين» (ص٦٨).

كونية، ويلعب الدور الرئيس في الدراما الكبرىٰ لنشأة العالم، ومن خلاله فسرت النظرة الإيرانية القديمة (**المجوسية**) نشأة الإنسانية بتصوير أسطوري[1].

ويبيّن المستشرق (**ماسينيون**) أن فكرة (**الإنسان الكامل**) قد بدأت في التاريخ منذ عهد موغل في القدم، وأنها ترجع إلىٰ مجموعة أفكار في ملل ونحل مختلفة، فهو (**الإنسان الأول**) عند المزدكية، و**آدم قدمون** في كتب القبالة اليهودية، و(**الإنسان القديم**) عند المانوية.

وأن هذا الإنسان في وقتٍ متأخر في التصوف الإسلامي وضع تصوره علىٰ أساس أنه «**إنسانُ عين الوجود**» فأحل محل «**الكلمة**» المتجسدة عند النصارىٰ[2].

وقد تحدث أكثر الصوفية عن هذا الإنسان وعن

---

(١) انظر: «نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها وتصويرها الشعري»، هانز هينرش شيدر، ترجمة: د. عبد الرحمٰن بدوي (ص٢١ ـ ٢٥ و٢٩) ضمن كتاب «الإنسان الكامل في الإسلام»، للدكتور عبد الرحمٰن بدوي، وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية، الكويت ١٩٧٦م.

(٢) انظر: «الإنسان الكاملُ في الإسلام وأصالته النشوريَّة»، لوي ماسينيون، ترجمة: د. عبد الرحمٰن بدوي (ص١١٣) ضمن كتاب «الإنسان الكامل في الإسلام»، للدكتور عبد الرحمٰن بدوي، وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية، الكويت ١٩٧٦م.

صفاته وحدوده وماهيته، وتشابهت أقوالهم [illegible] وكان أول من تحدث عنه هو **الحلاج**، ثم أفاض الحديث عنه **ابن عربي**، وتحدث عنه **السهروردي** تحت عنوان **(الحكيم المتأله)** وتحدث **ابن سبعين** عن الإنسان الكامل، وكذلك فعل **عبد الكريم الجيلي** الذي ألف كتاباً خاصاً اسمه **(الإنسان الكامل)** وتحدث عنه **ابن الفارض** وسماه **(القطب)** وتحدث عنه **البدوي**، **والدسوقي**، **وابن قضيب البان**، وغيرهم من فلاسفة ونظار الصوفية[1].

و**(الإنسان الأول)** عند هؤلاء الصوفية يكون بوجوده قيام الحياة، وهو الذي صنع وخلق الموجودات، وهو الذي فاض بالوجود السفلي والعلوي، وهو الواسطة بين الخالق والخلق لما له من شبه بالاثنين، فله صفات الإلٰه وله صفات البشر، وهو يعلم الغيب، ويدبر أمر العالم، ويسمىٰ بأسماء عديدة، منها: الحقيقة المحمدية، والقطب، والروح الأعظم، والعقل الأول.

يقول **(هانز هينرش شيدر)**: **(إن** تشييد مذهب **الإنسان الكامل** كان يسير موازياً لتطور النظرية **الغنوصية** للنبوة في الإسلام، وهذه الأخيرة كانت من جانبها مرتبطة

---

(١) انظر: «الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي»، يوسف زيدان (ص٦٦)، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٨م.

بغنوص الإمامة عند الشيعة، وعن طريقه ارتبطت بتصورات الغنوص السابق علىٰ الإسلام.. أعني «**النبي الصادق**» الموجود منذ الأزل الذي تتوارث روحه وفضله سلسلةُ الأنبياء التاريخيين، ويرمز إلىٰ تلك الروح والفضل «Charisma» بالجوهر النوراني الإلـٰهي، هذا النبي الصادق الذي يخلع عليه في الوقت نفسه صفات الكلمة «**اللوغوس**» الإلـٰهية، هنالك يصبح النبي أنموذج الإنسان الكامل الذي ينظر إليه علىٰ أنه الغاية من حوادث العالم ومعناها، وأنه الوسيط بين الكل الواحد الإلـٰهي وبين مظهره الخارجي)[1].

ويبيّن المستشرق (**هانز هينرش شيدر**) متابعة لما عرضه المستشرق (**تور أندريه**) أنَّ النظرية (**الغنوصية**) تجددت وتطورت في **النظرية الشيعية** القائلة بانتقال فضل الحكمة الإلـٰهية من آدم إلىٰ الأئمة العلويين مارة بالرسول محمد، وهذه الحكمة الإلـٰهية رمزها القائم هو النور، ثم إن هذه النظرية الشيعية أثرت في الصورة السنية لمحمد، خصوصاً عند الصوفية الذين تأثروا بنظريتهم في الإمام[2].

---

(١) «نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين»، هانز هينرش شيدر (ص٦٥، ٦٦).

(٢) انظر: «نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين»، هانز هينرش شيدر (ص٣٧).

ويؤكد المستشرق **(هانز هينرش شيدر)** أن فكرة **(الإنسان الكامل)** استمر تطويرها داخل الفكر الصوفي حتىٰ بلغت أوجها عند فيلوسف الغنوص الإسلامي **ابن عربي**، الذي أثر نظامه وفلسفته في التصوف المتأخر كله، وفي هذه المرحلة الفكرية صارت فكرة **(الإنسان الكامل)** بوصفه قدرة كونية الفكرة الرئيسية في التصوف، وفيه تتلاقىٰ صورة **الإنسان الأول في الغنوص** مع التصورات العليا في علميّ ما بعد الطبيعة والنفس **الأفلاطونيين المحدثين**[1].

وتنطلق نظرية **(الإنسان الكامل)** عند الصوفية ـ أساساً ـ من سلب **الأسماء** والصفات عن الله، وهذا المنطلق **الأول** هو امتداد لعملية التأثير الذي أدخله فلاسفة الصوفية المتأثرين بالباطنية والإسماعيلية علىٰ الصوفية. حيث تعتقد الباطنية بنفي جميع الصفات والأسماء الإلـٰهية عن الله، ويرون **أنَّ** هذا هو التنزيه الصحيح، وهم ينطلقون في إنكارهم هذا إلىٰ اعتقادهم أن الله ـ في نظرهم ـ فوق متناول العقل بأي شكل من **الأشكال**، فهو **لا** موجود **ولا** غير موجود، ولا عالم **ولا** جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ليس بالقديم وليس بالمحدث.

---

(١) انظر: «نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين» (ص٤٥).

فهذا هو الداعي الإسماعيلي **إبراهيم بن الحسين الحامدي** في كتابه السريّ «**كنز الولد**» قد خصص الباب الأول لهذا الموضوع، ووضعه تحت عنوان:

(في القول علىٰ التوحيد، من غير تشبيه ولا تعطيل)

وسرد فيه عقيدة الباطنية.

ومما نقله هذا الداعي **الحامدي** عن أحد أئمته وهو يتحدث عن عقيدته في الله التي يسميها تنزيهاً؛ قوله:

(هو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة، ولا يوما إليه بالإشارة مكيفة، ولا يقال عليه حيّاً، ولا قادراً، ولا عالماً، ولا عاقلاً، ولا كاملاً، ولا تاماً، ولا فاعلاً)[1].

وقال **الإسماعيلي الكرماني**: (إنه تعالىٰ لا ينال بصفة من الصفات)[2].

ويقول الداعي الإسماعيلي **علي بن محمد الوليد**: (إنّ نفي الصفات عنه معتقد صحيح، لا يسوغ تركه)[3].

ويقول الداعي الإسماعيلي **الحامدي**: (الحمد لله نور

---

(١) «كنز الولد، الحامدي»، تحقيق: مصطفىٰ غالب، (ص١٣) دار الأندلس.

(٢) «راحة العقل»، أحمد حميد الدين الكرماني (ص١٣٥).

(٣) «تاج العقائد ومعدن الفوائد» (ص٢٧).

النور، ومدبر الأمور.. المنزه عن الأسماء والصفات)[1].

وقال **أيضاً**:

(إن الغيب سبحانه وتعالىٰ جلّ جلاله [illegible] باسم من الأسماء، ولا يوصف بما به مبدعاته تعالى)[2].

وإذا كانت عقيدة الإسماعيلية والباطنية تقوم على نفي مطلق الأسماء والصفات عن الله، لأنهم ـ كما يقول الإسماعيلي المعاصر **مصطفىٰ غالب** ـ يعتقدون أن الله متعال عن المراتب كلها كمالاً ونقصاً، وحدة وكثرة[3]، فإنهم وهبوا تلك الأسماء الحسنىٰ والصفات الإلٰهية لما يسمون (**العقل الأول**) أو (**المبدع الأول**)، والتوحيد عند الباطنية فهو معرفة (**العقل الأول**) وهذا هو المنطلق الثاني في تكوين نظرية (**الإنسان الكامل**) عند الصوفية من بعد.

يقول الداعي **الإسماعيلي الحامدي**: (فالحي، القادر، القديم، العالم، هو الموجود الأول)[4].

ويقول **الحامدي**: (وأما توحيد المؤمن فهو معرفته لهذا الواحد الأول)[5].

---

(١) «كنز الولد» (ص١). (٢) «كنز الولد» (ص١١).

(٣) هامش «كنز الولد» (ص١١).

(٤) «كنز الولد» (ص١٤). (٥) «كنز الولد» (ص٢٢).

وينقل **الحامدي** عن أحد **علماء الإسماعيلية** أنه قال: (وأما معرفة التوحيد فإن الصفة والمعرفة هو لأول موجود عن المبدع الحق، وأن المبدع الحق يتعالىٰ عن الصفات، ويتنزه عن الإشارات، والكل عاجز عن صفته وتوهمه، وإشارة إليه)[1].

وكما ذكرنا سابقاً، فإن الذي يقوم مقام (**العقل الأول**) ـ الذي له الأسماء الحسنىٰ والصفات الإلـٰهية ـ في عقيدة الإسماعيلية هو النبي ﷺ، فالتوحيد إذن هو أن تنسب تلك الأسماء الحسنىٰ للنبي ﷺ ومن بعده إلىٰ عليّ رضي الله عنه وآل بيته الأطهار[2].

يقول الداعي الإسماعيلي الباطني (**الحسين بن علي بن الوليد**): (كانت مرتبة النبي مرتبة العقل السابق في وقته، ومرتبة أمير المؤمنين في الدين معه مرتبة الانبعاث الأول في عالمه)[3].

---

(١) «كنز الولد» (ص٢٢).

(٢) انظر: «مجموعة مسائل»، تحقيق: المستشرق شتروطمان، ضمن أربعة كتب إسماعيلية (ص٣١)، و«إثبات النبوءات»، لأبي يعقوب السجستاني (ص٥٧)، و«راحة العقل» (ص٢١٣، ٢١٤).

(٣) «المبدأ والمعاد»، الحسين بن علي بن الوليد، تحقيق: المستشرق هنري كربين (ص١٢٤).

من هذا التصور الباطني الذي ينفي عن الله صفاته، ويصف بها العقل الأول، أو النبي ﷺ، وُلِدَت نظرية **(الإنسان الكامل)** عند الصوفية، ليكون المدبر لهذا الكون، وخليفة الله في تصريف شأنه، فأعطىٰ نفس صفات أئمة الباطنية، وسُمي هذا الإنسان الصوفي بعدة أسماء: كالقطب، والحقيقة المحمدية، والعقل الأول، وغيرها.

يقول المستشرق **(هانز هينرش شيدر)**: (**القطب** ـ كما بيّن **نيبرج** فأجاد ـ يحمل تماماً نفس ملامح وصفات **الإمام المستور** عند الشيعة، وهذا **القطب** يمثل الوحي الإلٰهي في كل جيل، إن الولي **الكامل** هو بعينه **الإنسان الكامل** تماماً، وهو الخليفة لله في الكون).

فابن عربي يسند في فلسفته الخاصة بنظرية **(الإنسان الكامل)** علىٰ ما قرَّره الإسماعيلية في **العقل الأول**، حيث سلبوا عن الله الأسماء والصفات، ومنحوها للعقل **الأول**، فجاء من بعدهم **ابن عربي** ومنح أسماء الله وصفاته **للإنسان الأول** أو **الحقيقة المحمدية**.

يقول **ابن عربي**: (فكانت هذه الأسماء الإلٰهية علىٰ هذا **الإنسان الكامل** أشد مطابقة منها علىٰ المسمىٰ الله)[1].

---

(١) «نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين»، هانز هينرش شيدر (ص٦٦).

أما الصوفي **عبد الرزاق القاشاني**، فإنه عقد فصلاً تحت عنوان (**فص حكمة فردية في كلمة محمدية**) ويقرر فيها نفي الصفات والأسماء عن الله، ويثبتها للنبي ﷺ، يقول: (إنما خُصت الكلمة المحمدية بالحكمة الفردية، لأنه ﷺ أول التعينات الذي تعين به الذات الأحدية قبل كل تعين، فظهر به من التعينات الغير المتناهية.. فهو واحد فرد في الوجود لا نظير له، إذ لا يتعين من يساويه في المرتبة ليس فوقه إلا **الذات الأحدية المطلقة المتنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت، فله الفردية مطلقاً**)[1].

ثم بعد ذلك يطلق علىٰ التعين الأول ـ هو **النبي** ـ اسمه الفلسفي؛ أي: (**العقل الأول**)، ويفسر بوجده وفيضه وجود العالم، والذي انبثق عنه وعن النفس الكلية، علىٰ النحو الذي قرره الإسماعيلية والباطنية، معتضداً ببعض الأخبار والأحاديث الموضوعة.

يقول **عبد الرزاق القاشاني**: (فالتعين الأول هو **العقل الأول** المسمىٰ أم الكتاب، والقلم الأعلىٰ، والعين الواحدة، **والنور المحمدي**، كما ورد في الحديث: «**أول**

---

(١) «الفتوحات المكية»، ابن عربي، تحقيق: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث الإسلامي (٣/ ٢٦٠).

ما خلق الله العقل» وفي رواية «نوري [illegible]» [illegible] يتفضل بحسب التعينات الروحانية إلى [illegible] والأرواح العلوية والكروبيين وأرواح الكمل من [illegible] والأولياء، **فالعقل الأول** هو متعين كل طبيعي، [illegible] جميع المتعينات ويمدها ويقومها ويفيض عليها النور والحياة دائماً، ثم يتنزل مراتب التعينات إلىٰ تعين **النفس الكلية** المسماة باللوح المحفوظ)[1].

وكذلك يقرر الصوفي الفيلسوف **صدر الدين القونوي** (ت٦٧١هـ) أن الذي ظهر بالأسماء والصفات هو الإنسان الكامل، يقول:

(المرتبة الأربعون من مراتب الوجود هي **للإنسان الكامل**، وبه تمت المراتب وكمل العالم، وظهر الحق للعالم سبحانه بظهوره الأكمل علىٰ حسب أسمائه وصفاته.. فالإنسان هو الحق، وهو الذات، وهو الصفات.. وهو الوجود ما حواه، وهو الحق، وهو الخلق، وهو القديم، وهو الحادث. فلله درُّ من عرف نفسه معرفتي إياها، لأنه عرف ربه معرفته لنفسه)[2].

---

(١) «شرح فصوص الحكم»، عبد الرزاق القاشاني (ص٤١٨)، المكتبات الأزهرية للتراث، مصر ١٤٢٣هـ.

(٢) «شرح فصوص الحكم»، عبد الرزاق القاشاني (ص٣٩١).

أما الصوفي **عبد الكريم الجيلي** الذي خصص كتاباً مستقلاً اسمه «**الإنسان الكامل**» لهذه القضيَّة، فإنه فيؤكد مذهب الإسماعيلية بحذافيره، ويقرر أنه من غير الممكن إدراك الذات الإلٰهية، لأن ذاته تعالىٰ غيب لا تدرك بمفهوم عبارة، ولا يفهم بمعلوم إشارة، كما أنه لا سبيل إلىٰ معرفة ذات الله عن طريق الاستدلال عليه بالأسماء والصفات.

فالله عند **الجيلي** هو غيب الغيب، والسبيل إلىٰ هذا الغيب، ليس الإدراك العقلي، أو الاستدلال بالأسماء والصفات[1].

إذن ما هو السبيل الوحيد لمعرفة وإدراك الذات الإلٰهية؟

يجيب **الجيلي** بأن السبيل إلىٰ ذلك هو (**الإنسان الكامل**) الذي مرتبته هي مرتبة تجلي الذات الإلٰهية، والفتق عن المنظر الأعلىٰ، وهي المقام الأخير الذي فيه تحل لطيفة ذاتية محل العبد، والذات التي تتجلىٰ علىٰ **الإنسان الكامل** هي ذات واجب الوجود القديم، وبذلك

---

(١) كتاب «مراتب الوجود»، صدر الدين القونوي، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بدوي (ص١٤٧) ضمن كتاب «الإنسان الكامل في الإسلام»، للدكتور عبد الرحمٰن بدوي، وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية، الكويت ١٩٧٦م.

يستحق الإنسان الكامل الأسماء والصفات الإلهية [illegible]
استحقاق الأصالة، إذ ليس لتلك الأسماء والصفات [illegible]
في الوجود إلا الإنسان الكامل، والإنسان الكامل بهذا
الشكل، أحديٌّ، قيوم، يقوم بذاته وبالعالم جميعه[1].

يقول (**عبد الكريم الجيلي**) متحدثاً عن اعتقاده في الله: (اعلم وفقنا الله وإياك، إن الحق تعالىٰ لا يمكن دركه علىٰ الحيطة والاستيفاء أبداً لا لقديم ولا لحديث، أما القديم فلأن ذاته لا تدخل تحت صفة من صفاته)[2].

ويؤكد **الجيلي** أن الصفات الإلـٰهية السبع، والتي يسمها (**أمهات الظهور**) وهي: (الحياة، العلم، الإرادة، القدرة، السمع، البصر، الكلام) إنما تظهر في الإنسان الكامل بتمامها، لأن الإنسان الكامل هو مرآة الله[3].

ثم يحاول **عبد الكريم الجيلي** أن يجد لفلسفته شكلاً شرعياً، ولذلك يلجأ إلىٰ أحاديث موضوعة مثل حديث: «**أول ما خلق الله العقل**» ليقرر أن (**العقل الأول**) هو الروح المحمدي، استناداً للحديث الآخر الموضوع: «**أول ما**

---

(١) انظر: «الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي» (ص٦٩ ـ ٧٢).
(٢) انظر: «الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي» (ص٨١ ـ ٨٤).
(٣) «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل»، عبد الكريم الجيلي (٢/ ١٦)، الطبعة الثانية، مصر ١٣٢٨هـ.

خلق الله روح نبيك يا جابر»، ويقرر بعد ذلك أنَّ الله خلق (**روح محمد**) من ذاته، فجعله مظهراً لكماله وجماله وجلاله.

ثم خلق العالم **بأسره** من الروح المحمدية، وبهذه الفلسفة يقدم نظريته في الخلق القائمة علىٰ نظرية الفيض **الأفلوطينية**[1]!

يقول (**عبد الكريم الجيلي**): (**العقل الأول** والقلم الأعلىٰ نور واحد فنسبته إلىٰ العبد يسمىٰ **العقل الأول**، ونسبته إلىٰ الحق يسمىٰ القلم الأعلىٰ، ثم إن **العقل الأول** المنسوب إلىٰ محمد ﷺ خلق الله جبريل منه في الأزل، فكان محمد ﷺ أباً لجبريل وأصلاً لجميع العالم)[2].

ثم يقرر **عبد الكريم الجيلي** أنَّ العالم كله خُلقَ من نور محمد، أنَّ ما فيه من خير وشر، صلاح وفساد، ملائكة وشياطين كلها قد خرجت من نفس النبي ﷺ!

يقول **الجيلي**: (خلق الله تعالىٰ العالم جميعه من نور محمد)[3].

ويقول: (اعلم أن الله تعالىٰ لما خلق **النفس**

---

(١) انظر: «الفكر الصوفي»، يوسف زيدان (ص٨٦).
(٢) انظر: «الفكر الصوفي»، يوسف زيدان (ص٨٩، ٩٠).
(٣) «الإنسان الكامل»، عبد الكريم الجيلي (١٨/٢).

المحمدية من ذاته، وذات الحق جامعة للضدين، خلق الملائكة العالين من حيث صفات الجمال والنور والهدىٰ من نفس محمد ﷺ ـ كما سبق بيانه ـ وخلق إبليس وأتباعه[1] من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ﷺ)[2].

وهكذا استقرت نظرية «**الحقيقة المحمدية**» أو (**الإنسان الكامل**) عند الصوفية بعد ذلك، وضبطت معانيها واصطلاحاتها، وأصبحت هي أهم نظرية في التصوف المتأخر، وذلك بعد أن نضجت علىٰ يد كبار فلاسفة التصوف الباطني وعلىٰ رأسهم: **الحلاج، وابن عربي**.

يقول المؤرخ **ابن خلدون** شارحاً **الحقيقة المحمدية** عن الصوفية: (.. أن الوجود كله صادر عن صفة الوحدانية التي هي مظهر الأحدية، وهما معاً صادران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة. ويسمون هذا الصدور بالتجلي، وأول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات علىٰ نفسه، وهو يتضمن الكمال بإفاضة الإيحاء

---

(١) «الإنسان الكامل»، عبد الكريم الجيلي (٢/ ١٦).

(٢) **أقول**: أي حبٍّ وأي تكريم يدعيه هؤلاء الصوفية وهم يقولون: إن إبليس ـ لعنه الله ـ والشياطين خُلقت من نفس نبينا الأكرم صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم؟!

والظهور، لقوله في الحديث الذي يتناقلونه: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق ليعرفوني**».

وهذا الكمال.. عندهم عالم المعاني والخضرة والكمال **والحقيقة المحمدية**، وفيها حقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الأنبياء والرسل أجمعين، والكمل من أهل الملة المحمدية، وهذا كله تفصيل **الحقيقة المحمدية** ويصدر عن هذه الحقائق أخرىٰ في الحضرة الهبائية، وهي مرتبة المثال، ثم عنها العرش، ثم الكرسي، ثم الأفلاك، ثم عالم العناصر، ثم عالم التركيب)[(١)].

ويخصص **عبد الرزاق الكاشاني** كتاباً مستقلاً للمصطلحات الصوفية، ويشرح فيه غوامض ألفاظهم وكلماتهم ومصطلحاتهم بعد أن استقرت معانيها، يقول: (**الحقيقة المحمدية**: هي الذات مع التعين الأول، فله الأسماء الحسنىٰ كلها[(٢)]، وهو **الاسم الأعظم**)[(٣)].

---

(١) «الإنسان الكامل»، عبد الكريم الجيلي (٢/ ٣٨).

(٢) «مقدمة ابن خلدون» (ص٤٧٠، ٤٧١). وانظر: «أبجد العلوم» (٢/ ١٥٨، ١٥٩).

(٣) **أقول**: قد استقر عند الصوفية وصف **الحقيقة المحمدية** بالذات الإلـٰهية التي لها الأسماء الحسنىٰ، وهي عندهم الاسم الأعظم، والذي قيل: إنه هو الله. فانظر إلىٰ أين وصل بهؤلاء القوم الغلو!

ويقول **الكاشاني**: (**الاسم الأعظم**: هو الاسم الجامع لجميع الأسماء. وقيل: هو الله؛ لأنه اسم الذات الموصوفة بجميع الصفات؛ أي: المسماة بجميع الأسماء، ولهذا يطلقون الحضرة الإلٰهية على حضرة الذات مع جميع الأسماء، وعندنا هو اسم الذات الإلٰهية من حيث هي هي؛ أي: المطلقة الصادقةُ عليها مع جميعها أو بعضها)[1].

ويقول **أيضاً**: (**الدرة البيضاء**: هي العقل الأول، لقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله درة بيضاء**» الحديث، و«**أول ما خلق الله العقل**»[2].

ويقول **الكاشاني**: (**واسطة الفيض وواسطة المدد**: هو **الإنسان الكامل** الذي هو الرابط بين الحق والخلق بمناسبته للطرفين)[3].

وقال **الجرجاني**: (**الحقيقة المحمدية**: هي الذات مع التعين الأول، وهو الاسم الأعظم)[4].

---

(١) «اصطلاحات الصوفية»، عبد الرزاق الكاشاني، عناية: مجيد هادي زاده (ص٩)، مؤسسة انتشارات حكمت، إيران ١٣٨١هـ.

(٢) «اصطلاحات الصوفية»، الكاشاني (ص٢٤).

(٣) «اصطلاحات الصوفية»، الكاشاني (ص٢٥).

(٤) التعريفات (ص١٢٢).

وقال **المناوي**: (**الحقيقة المحمدية**: هي الذات، مع النعت الأول)[1].

---

(١) «التعاريف»، المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية (ص٢٩٠)، دار الفكر المعاصر، بيروت.
أقول: وقد سار بقية الصوفية ممن تبع منهج هؤلاء الغلاة علىٰ طريقتهم، ونصوصهم كثيرة جداً، وأكتفي هنا بنقل نصين فقط:
يقول الصوفي النقشبندي (**عبد المجيد الخاني**) شارحاً الحقيقة المحمدية وما يفيض عنها، ما نصه:
(اعلم أن الله تعالىٰ لما توجه لخلق العالم خلق روحاً كليًّا سماه حضرة الجمع والوجوه لكونه جامعاً لحقائق الوجود، وسماه **بالحقيقة المحمدية**، لكون محمد ﷺ أكمل مظاهرها.. وما زال الحق تعالىٰ يخلق الموجودات من **الحقيقة المحمدية**، علوية وسفلية، لطيفة وكثيفة، بسيطة ومركبة.. ثم خلق الله العماء الذي كان فيه الرب قبل خلق الخلق، وكان أول ما خلق الله في العماء الأرواح المهيمة والعقل والنفس الكلية، فهم مخلوقون من حضرة الجمع والوجود وهم مظاهر لها.. وأول الصور: **النور المحمدي**، لما روي: **أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**).
انظر: «حقائق خطيرة عن الطريق النقشبندية»، عبد الرحمٰن دمشقية (ص٦٩ ـ ٧١).
وقال **عبد القادر العيدروسي**:
(اعلم أن الله سبحانه لما أراد إيجاد خلقه أبرز **الحقيقة المحمدية** من أنواره الصمدية في حضرته الأحمدية، ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها علىٰ ما اقتضاه كمال حكمته =

رابعاً
أقوال أهل الاختصاص في التصوف والفلسفة

يتفق معظم أهل الاختصاص من الكتّاب والباحثين الذين اشتغلوا بالبحث والتمحيص في التصوف - من المسلمين وغير المسلمين -.

أن **الأفلوطينية** هي أحد أهم المصادر الأساسية للتصوف، وأن هؤلاء أخذوا نظرية **الفيض**، **والعقول**، **والكلمة**، **والمعرفة**، **والإشراق**، وغيرها، من فلسفات الأفلاطونية المحدثة، وكان للإسماعيلية والباطنية دور كبير

= وسبق في علمه وإرادته، ثم أعلمه الله تعالىٰ بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته، وبأنه نبي الأنبياء وواسطة جميع الأصفياء، وأبوه آدم بين الروح والجسد، ثم انبجست منه عيون الأرواح، فظهر ممداً لها في عالمها المتقدم علىٰ عالم الأشباح، وكان هو الجنس العالي علىٰ جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس). «النور السافر»، عبد القادر العيدروسي (ص٦).

ثم قال: (فعلم أن أول الأشياء علىٰ الإطلاق **النور المحمدي** ثم الماء ثم العرش ثم القلم). «النور السافر»، عبد القادر العيدروسي (ص٨).

ومساهمة فعالة في توطئة وتمهيد الطريق لفلاسفة الصوفية للوصول إلىٰ أفكار **أفلوطين**، حيث وجدوها ميسرة مهذبة في التراث الباطني، والناظر في عبارات ومصطلحات الصوفية يجزم بأنَّ ألفاظ **الأفلوطينية والباطنية** قد اختلطت وامتزجت تماماً بألفاظ الصوفية.

وهنا سوف أسوق ـ بإذن الله ـ جزءاً يسيراً من أقوال أهل الاختصاص والبحث في الفلسفة والتصوف، تشهد بأن ما يسميه الصوفية (**الحقيقة المحمدية**) ليست إلا عقائد وفلسفات أجنبية وثنية، دخلت علىٰ الصوفية من طريق مذاهب الباطنية. وهذه جملة منها:

١ ـ يقول المستشرق (**رينولد.ا. نيكولسون**): (**النور المحمدي** عندهم ـ الصوفية ـ هو الروح الإلـٰهي الذي نفخ الله منه في آدم، أو هو شيء أشبه بالعقل الذي قال به **أفلوطين** وعدَّه أولَ الفيوضات التي صدرت عن (**الواحد الحق**)، أو أشبه بالكلمة الإلـٰهية التي ذكر بعض الغنوصيين المسيحيين أنها تظهر بصورة الأنبياء، وأنها مصدر الوحي). «في التصوف الإسلامي وتاريخه» (ص١٥٩).

٢ ـ وكذلك ذهب المستشرق (**جولد تسيهر**) إلىٰ تأكيد استقاء كلا من الإسماعيلية والصوفية أفكارهم من

النظريات الأفلوطينية[1].

يقول **(جولد تسيهر)**: (كان التصوف خصوصاً هو الذي عُني بتصوير الكثير من الأفكار الأفلاطونية المحدثة والغنوصية في صورة إسلامية، فعن دوائر الصوفية صدر الكثير من الأحاديث الموضوعة، التي قصد بها إلىٰ تبرير قواعد هذا الاتجاه الديني، وهو التصوف)[2].

٣ ـ ويقول الدكتور **(عبد الرحـٰمن بدوي)** مبيناً التأثير الفلسفي لليونان علىٰ الصوفية:

(أهم نص في هذا الباب هو كتاب «**أثولوجيا أرسطو طاليس**» وهو كما نعلم فصول ومقتطفات منتزعة من التساعيات الأفلاطونية، وفيه نظريات الفيض والواحد التي ستلعب دوراً خطيراً في التصوف الإسلامي، خصوصاً عند **السهروردي** ـ المقتول ـ **وابن عربي**، وفيه أيضاً نظرية **الكلمة** أو **اللوغوس**.

ولا شك في تأثر الصوفية المسلمين ابتداء من القرن

---

(١) انظر: «العقيدة والشريعة»، جولد تسيهر (ص٢١٣).

(٢) «العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية في الحديث»، جولد تسيهر، ترجمة: عبد الرحـٰمن بدوي (ص٢١٨)، ضمن كتاب «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية»، للدكتور عبد الرحـٰمن بدوي، دار القلم، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٠م.

الخامس الهجري بما في «**أثولوجيا**» من آراء، وإنما الخلاف هنا هو في: **هل وصل تأثيره إلىٰ التصوف الإسلامي مباشرة، أو عن طريق كتب الإسماعيلية؟ وكلها حافلة بالتأثر به**)[1].

٤ ـ يقول الدكتور (**أبو العلا عفيفي**): (أفاضت الشيعة في وصف هذا النور المحمدي، فقالوا: إنه ينتقل في الزمان من جيل إلىٰ جيل.. وهو قول نجد له صدىً في الغنوصية المسيحية)[2].

ويقول **أيضاً**: (شاع من أوائل عهد الإسلام القول بأزلية محمد ﷺ، أو بعبارة أدق بأزلية «النور المحمدي»، وهو قول ظهر بين الشيعة أولاً، ولم يلبث أهل السنة أن أخذوا به، واستند الكل في دعواهم إلىٰ أحاديث يظهر أن أكثرها موضوع.

---

(١) «تاريخ التصوف الإسلامي»، بدوي (ص٤١). أقول: قد تبيَّن لك ـ أخي القارئ ـ من خلال عرض النصوص **الإسماعيلية** في هذا الصدد مدىٰ تأثر الصوفية فلسفة الباطنية، بل وانتحالهم لها إلىٰ درجة التطابق تقريباً، ولذلك فأنا أقطع أن تأثر **الصوفية** بالتراث اليوناني وعلىٰ وجه الخصوص فلسفة **أفلوطين** جاءت عن طريق الممهدين لها والمهذبين لها في المجتمع الإسلامي؛ أعني: **الإسماعيلية الباطنية**.

(٢) «تعليقات أبو العلا عفيفي علىٰ فصوص الحكم»، قسم التعليقات الثاني (ص٣١٩، ٣٢٠).

من ذلك أن النبي ﷺ قال: «**أنا أول الناس في الخلق**» ومنها: «**أول ما خلق الله نوري**»، ومنها: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[1] وغير ذلك من الأحاديث التي استنتجوا منها أن كان لمحمد ﷺ وجود قبل وجود الخلق، وقبل وجوده الزماني في صورة النبي المرسل، وأن هذا الوجود قديم غير حادث، وعبروا عنه بالنور المحمدي)[2].

٥ ـ ويقول (**طه حسين**): (من هذا تعرف أن التصوف ليس مذهباً إسلامياً خالصاً، وإنما هو مذهب هندي أخذ صبغة الفلسفة اليونانية عند الرواقيين والإسكندريين ـ الفلسفة **الأفلوطينية** ـ ثم أخذ الصبغة الإسلامية أيام بني العباس)[3].

٦ ـ ويقول (**أبو الوفا الغنيمي التفتازاني**):

(كان لنظرية **أفلوطين** السكندري في الفيض وترتب الموجودات عن الواحد أو الأول، أثرها علىٰ الصوفية

---

(١) قال عنه الشيخ الألباني: حديث موضوع.
انظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣٠٢).

(٢) «تعليقات أبو العلا عفيفي علىٰ فصوص الحكم»، قسم التعليقات الثاني (ص٣١٩).

(٣) «ذكرىٰ أبي العلاء»، طه حسين (ص٩٢)، نقلاً عن: انظر: «الأفلوطينية المحدثة»، الحمد (ص١٣٤).

المتفلسفين من أصحاب الوحدة **كالسهروردي** ـ المقتول ـ، ومحيي الدين **بن عربي**، **وابن الفارض**، **وعبد الحق بن سبعين**، **وعبد الكريم الجيلي**.

ونلاحظ بعد ذلك أن أولئك المتفلسفة من الصوفية نتيجة اطلاعهم علىٰ الفلسفة اليونانية قد اصطنعوا كثيراً من مصطلحات هذه الفلسفة مثل: الكلمة، العقل الأول، العقل الكلي، العلة والمعلول..)[1].

٧ ـ ويقول (**عباس محمود العقاد**) عن **أفلوطين**: (هو أجدر فيلسوف أن يحسب من صميم المتصوفة، أو يقال عنه بغير جدال: إنه إمام التصوف الذي امتزجت آراؤه بالطرق الصوفية، ولا تزال تمتزج بها إلىٰ هذا الزمان)[2].

٨ ـ ويقول الدكتور (**غسان خالد**) عن **أفلوطين**: (أصبح مرجعاً فلسفياً يستلهمه المتصوفة لوضع مبادئهم الفكرية، كأنه معلم يلهم أتباعاً صوفيين)[3].

٩ ـ ويقول الدكتور (**محمد مصطفىٰ حلمي**):

(مما لا شك فيه أن حديث **ابن الفارض** عن **القطب**

---

(١) «مدخل إلىٰ التصوف الإسلامي،» التفتازاني (ص٣٣).

(٢) «الله كتاب في نشأة العقيدة الإلـٰهية»، العقاد (ص١٨٣)، دار المعارف، الطبعة السادسة، مصر.

(٣) «أفلوطين»، غسان خالد (ص٢٧٠).

وحقيقته، ووصفه لآثاره في الوجود [illegible] العام والعمل فإنهما يذكراننا بنظريات وعقائد فلسفية وغير [illegible] بعضها إسلامي وبعضها الآخر غريب عن الإسلام، كنظرية **فيلون** اليهودي، **والمسيحيين** في «**الكلمة**» ونظرية **أفلوطين** في «**الفيض**» عامة، فيض النفوس الجزئية من **النفس الكلية**، والأجسام الجزئية من الجسم الكلي الخاص، وعقيدة الشيعة في «**النور المحمدي**» وعقيدة الإسماعيلية الباطنية في **الإمام المعصوم**)[١].

١٠ ـ ويقول الدكتور (**عمر الطباع**): (إن ابن عربي قد رمىٰ في معظم آثاره إلىٰ التقريب بين المذاهب الكلامية وفي طليعتها الأشعرية وفلسفة **أفلوطين في الفيض**، أو ما يُعرف **بالأفلوطينية** الحديثة)[٢].

١١ ـ ويقول الدكتور (**عبد القادر محمود**): (فإذا نظرنا في مذاهب **الفيض الأفلوطيني** نجد أن الله **والعقل الأول والنفس الكلية** والمادة غير المصورة والنفوس الجزئية، كل أولئك عبارة عن مراتب الوجود الأفلوطينية، وهذا ما نجده في مدرسة **ابن عربي** في **الحقيقة المحمدية**

---

(١) «ابن الفارض والحب الإلـٰهي»، الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي.

(٢) مقدمة «ديوان ترجمان الأشواق» (ص٦).

أول فيض من الذات الإلٰهية، ثم بقية الفيوضات في جميع الموجودات).

وعن **ابن الفارض** في وحدة الشهودية وفي مذهبه القطبية والحقيقة المحمدية، وعند الإشراقية **السهروردية** والشيرازية التي تجعل الله نور الأنوار فياضاً بالأنوار القاهرة وهي النفوس والعقول، وبالجواهر الغاسقة الناشئة عن الأنوار، وهي الأجسام.

حتىٰ المصطلحات في المثل أو المعاني الأزلية، والحقيقة، وحقيقة الحقائق، والعلة والمعلول، والوحدة والكثرة، وتحقق الذات في الموضوع وشيوع الموضوع في الذات، **كل هذا يعود إلىٰ أصوله الأفلوطينية التي تعود هي الأخرىٰ إلىٰ الغنوص الشرقي والغربي المؤول في الفلسفات اليهودية والمسيحية اللاهوتية**[1].

١٢ ـ ونختم بقول العلامة الأديب الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو خبير بالصوفية وكتبها: إن كتاب «الفتوحات» (فيه من كلام لا يُشك في أنه كفر، وأنه أخذ الأفلوطينية الجديدة لأفلوطين (Plotin) فجعلها من الدين)[2].

---

(١) «الفلسفة الصوفية في الإسلام»، عبد القادر محمود (ص٣١ ـ ٣٣).

(٢) «الذكريات» (١/ ١٣٨)، وذكر معنىٰ ذلك في (٥/ ١٠٢).

خامساً
لماذا قالت الصوفية بالحقيقة المحمديّة؟

من فضل الله ورحمته بهذه الأمة أن حفظ لها دينها وعقيدتها من الدَّخل والزيغ، وذلك بحفظ كتابه الكريم من التحريف والعبث، فتكفل سبحانه بحفظه وصيانته من كل يد عابث، ومن مقتضيات حفظ الله للقرآن العظيم، حفظ التبيان الذي فيه بيان وشرح كتاب الله، أعني سنة النبي المطهر محمد ﷺ، فسخر الله للسنة رجالها الذين ينفون عنها كل دس ودخيل، ويصونونها من أيدي العابثين والمحرفين والوضَّاعين، وبحفظ الله لهذين الأصلين بقية عقيدة الأمة نقيَّة صافية، ترد كل مُحدَثٍ وجديد إلىٰ هذين الأصلين، فما وافقهما أُخذ به، وما عارضهما رد ونبذ.

ولما لم يجد أهل الزيغ والعناد طريقاً إلىٰ كتاب الله، سلكوا طريق السنة، فوضعوا بعض الأخبار والروايات والأحاديث علىٰ لسان المصطفىٰ ﷺ، تتضمن عقائدهم الفاسدة ونحلهم الباطلة، كحديث «**أول ما خلق الله نور**

نبيك يا جابر»[1] محاولين ترويجها علىٰ العامة وعلىٰ أهل الجهل بعلوم السنة، فراجعت علىٰ الجُهال والعوام، واستغلها أهل المقاصد السيئة، لكن **أهل الحديث** كانوا لهم بالمرصاد، فكشفوا عبثهم، وأبطلوا عملهم، والله لا يصلح عمل المفسدين.

والعمل في الدين الإسلامي لا يصلح ولا يصح إلا بركنين اثنين، إذا تخلف أحدهما بطل العمل كله، وهما: المتابعة، والإخلاص.

والصوفية الذين نسجوا نظرية (**الحقيقة المحمدية**) لم يَبطُلَ عندهم ركن واحد فقط، بل بطل عندهم الركنان، وذلك أن ما ذهبوا إليه في **الحقيقة المحمدية** ليس فيه ألبتة متابعة للنبي صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم، بل فيه متابعة لأفلوطين ومن تبعه من الباطنية.

كما أنهم أبطلوا الركن الثاني: وهو الإخلاص، فإن المتأمل في مقالاتهم يعلم أنهم ما أرادوا بها وجه الله، وما كان مقصودهم تعظيم نبيه صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم، بل كان مقصدهم، إما إبطال الشريعة المحمدية، أو تعظيم أنفسهم ورفعها إلىٰ منزلة عظيمة تحت غطاء ما يزعمون أنه حقيقة محمدية، وهو في حقيقته حقيقة شيطانية.

---

(١) قال عنه الشيخ الألباني: حديث باطل. انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤٥٨).

وحتىٰ يكون الكلام منطقياً أورد أقوالهم [illegible] متحامل عليهم، بل سأورد ـ بإذن الله ـ نصّ أقوالهم [illegible] أنهم ما أرادوا بهذه (**الحقيقة المحمدية**) إلا هدم الإسلام، والطعن في نبي الإسلام وإهانته صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم، في مقابل إرادتهم العلو في الأرض، وتعظيم أنفسهم وتقديسها.

يقول المستشرق (**جولد تسيهر**): (لما كان الشيعة قد ارتفعوا في نظرياتهم بطبيعة الأئمة إلىٰ مقام فوق مقام الطبيعة الإنسانية، وجعلوا لهؤلاء مكانة في العالم العلوي، كان من الضروري أيضاً أن يكون لمحمد نفسه باعتباره جداً أعلىٰ للأئمة أن يكون له نصيب في الأسطورة التي نسجتها الشيعة حول أهل البيت)[1].

يقول **جولد تسيهر**: (الإسماعيلية استخدمتها ـ النظريات الأفلوطينية ـ لكي تنفذ إلىٰ صميم الديانة الإسلامية، وتعمل علىٰ تعديل أحكامها وعقائدها، وفكرة الإمامة عندهم لم تكن إلا قناعاً ستروا وراءه برامجهم الهدامة، ولم تكن إلا تكأة إسلامية المظهر اعتمدوا عليها كأداة للتقويض والتدمير)[2].

---

(١) «العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية في الحديث»، جولد تسيهر (ص٢٢٦).

(٢) «العقيدة والشريعة»، جولد تسيهر (ص٢١٣).

أما الصوفية، فإن من تكلم منهم عن (**الحقيقة المحمدية**) (الإنسان الكامل) أو (**خاتم الأولياء**) فإنما أراد بها نفسه، ورأىٰ نفسه أنه هو، كأمثال: **ابن عربي**، **والسهروردي**، **وابن سبعين**، **والجيلي**، فإنَّ كل واحد منهم يعتقد أنه هو الإنسان الكامل في عصريه، **وابن عربي** مع ادعائه أنه الإنسان الكامل فهو أيضاً يدعي أنه هو **خاتم الأولياء**[1]!

فابن العربي الذي يدعي أنه (**خاتم الأولياء**) وأنه (**القطب**) يضفي إلىٰ نفسه صفات التقديس والتنزيه، حتىٰ تنتهي إليه الولاية المطلقة، وكل ما أضفاه علىٰ الحقيقة المحمدية سيعود عليه بوصفه خاتم الأولياء بعد انقضاء النبوة، وأنه هو الإنسان الكامل.

يقول **ابن عربي**: (اعلم أن **القطب** الذي عليه مدار أحكام العالم، وهو مركز دائرة الوجود من الأزل إلىٰ الأبد واحد، باعتبار حكم الكثرة متعدد. **فالنبي في** كل عصر هو قطبه، وعند انقضاء نبوة التشريع بإتمام دائرتها، انتقلت القطبية إلىٰ الأولياء مطلقاً.

فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم، قائم في هذا المقام، ليحفظ الله تعالىٰ به هذا الترتيب والنظام، إلىٰ أن

---

(١) انظر: «الفكر الصوفي»، يوسف زيدان (ص١٠٦ و١٤٧).

يظهر **خاتم الأولياء**، الذي هو خاتم الولاية المطلقة)[1].

ويقول **أيضاً**: (فلما أشهدني الله ذاتي، وأشهدني هيكلي، أشهدني بعد هذا نسبة العالم كله إليَّ وتوجهه عليَّ في إيجاد عيني.. فإن الله لما أحب أن يعرف لم يمكن أن يعرفه إلا من هو علىٰ صورته، وما أوجد الله علىٰ صورته أحد إلا **الإنسان الكامل** لا الإنسان الحيوان، فإذا حصل حصلت المعرفة المطلوبة، فأوجد ما أوجد من الأسباب لظهور عين **الإنسان الكامل** فاعلم ذلك، **فجبر هذا التعريف الإلـٰهي انكساري، وعلمت أني من الكمل**، وأني لست بإنسان حيوان فقط، فشكرت الله علىٰ هذه المنة، فلما أشهدني نسبة العالم إلي، ونسبتي إلىٰ العالم وميزت بين المرتبتين، **وعلمت أن العالم كله لولا أنا ما وجد وأنه بوجودي صح المقصود من العلم الحادث بالله والوجود الحادث الذي هو علىٰ صورة الوجود القديم، وعلمت أن العلم بالله المحدث الذي هو علىٰ صورة العلم بالله القديم لا يتمكن أن يكون إلا لمن هو في خلقه علىٰ الصورة وليس غير الإنسان الكامل**)[2].

---

(١) «تنبيهات علىٰ علو الحقيقة المحمدية العلية»، لابن عربي (١/ ٤٠٧).

(٢) «الفتوحات المكية»، ابن عربي، تقديم: محمد المرعشلي، =

وإذا كان ابن عربي يرىٰ نفسه هو الإنسان الكامل، فإن غيره من الصوفية يرون لأنفسهم ما رأىٰ لنفسه، فهذا (**ابن الفارض**) يرىٰ أنه هو (**الإنسان الكامل**) ويدعي أنه هو (**الحقيقة المحمدية**) حيث يقول في قصيدته الشهيرة (**بالتائية الكبرىٰ**):

ومن لم يرث عني الكمال فناقصٌ
على عِقبَيهِ ناكصٌ في العقوبةِ
فلا حيَّ إلا من حياتي حياته
وطوع مرادي كل نفسٍ مريدةِ
ولا قائلٌ إلا بلفظي مُحدِّثٌ
ولا ناظرٌ إلا بناظر مقلتي
ولا ناطقٌ غيري ولا ناظر ولا
سميع سوائي من جميع الخليقة
ولولاي لم يوجد وجودٌ ولم يكن
شهودٌ ولم تعهد عهودٌ بذمتي[1]

وكذلك ادعىٰ (**برهان الدين الدسوقي**) أن (**القطب**) و(**الإنسان الكامل**) وأنه مدار الكون كله، وأنه صورة الذات الإلـٰهية. يقول في ديوانه:

= تحقيق: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث الإسلامي (٣/ ٢٥٩)، دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، بيروت.

(١) «الفكر الصوفي»، يوسف زيدان (ص١٤٨، ١٤٩).

أنـا الـقـطـبُ الـمـبـاركُ قـدرهُ
وأنَّ مدار الكلِّ من حولِ ذروتي
ومـا صـورتـي لـلـذات إلا جـلـيـة
هي النفس والكون المُحَّنُ جنتي
ولـولا زنـادي فـي الـطـبـيـعـة قـادحٌ
لما قامت الأشخاص من فلك طيتي
وبـي فـاضـت الأنـبـاء مـن كـل مـلـة
بـمـخـتـلـف الآراء والـكـل أمـتـي[1]

أما **عبد الكريم الجيلي** فقد فصَّل الكلام في ذلك، وفتح الباب علىٰ مصراعية لكل من هبَّ ودبَّ، وجعل جميع صعاليك التصوف في منزلة نبينا صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم!

فقد خصص **الجيلي** باباً كاملاً في كتابه تحت عنوان: (الباب الموفي ستين: في **الإنسان الكامل** وأنه محمد ﷺ وأنه مقابل للحق والخلق. اعلم أن هذا الباب عمدة أبواب هذا الكتاب بل جميع الكتاب؛ من أوله إلىٰ آخر شرح لهذا الباب)[2].

ثم يبيّن **الجيلي** أنَّ **الإنسان الكامل** أو **الحقيقة المحمديّة** هي **(نوع إنساني)** وهي كلٌّ يندرج تحته أفراد،

---

(١) «الفكر الصوفي»، يوسف زيدان (ص١٥٠).
(٢) «الإنسان الكامل»، عبد الكريم الجيلي (٢/ ٤٤).

وأنَّ كل واحدٍ من الأفراد نسخة للآخر بكماله لا يفقد في أحد منهم مما في الآخر شيء إلا بحسب العارض، فالأنبياء والأولياء منذ البدء هم أفراد النوع الإنساني المسمىٰ **بالإنسان الكامل** أو **الحقيقة المحمدية**، وفيهم يتقمص ويتجسد النبي ﷺ[1]!

يقول **الجيلي** مفصحاً عن عقيدته: (قد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم، ليعلي شأنهم ويقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم)[2].

ويقول **أيضاً**: (لم يتعين أحد منهم ـ أي الأنبياء والأولياء ـ بما تعين به محمد ﷺ في هذا الوجود من الكمال الذي قطع له بانفراده فيه، شهدت له بذلك أخلاقه وأحواله وأفعاله وبعض أقواله، فهو الإنسان الكامل والباقون من الأنبياء والأولياء الكُمل صلوات الله عليهم ملحقون به لحوق الكامل بالأكمل، ومنتسبون إليه انتساب الفاضل إلىٰ الأفضل، ولكن **مطلق لفظ الإنسان الكامل حيث وقع في مؤلفاتي إنما أريد به محمداً ﷺ، تأدباً لمقامه الأعلىٰ ومحله الأكمل الأسنىٰ**)[3].

---

(١) انظر: «الإنسان الكامل»، عبد الكريم الجيلي (٢/ ٤٤ ـ ٤٧).
(٢) «الإنسان الكامل»، عبد الكريم الجيلي (٢/ ٤٧).
(٣) «الإنسان الكامل»، عبد الكريم الجيلي (٢/ ٤٤).

والإنسان الكامل عند **الجيلي** واحدٌ منذ كان الوجود إلىٰ أبد الآبدين، إلا أن له تنوعات وصور في كل زمان، **والإنسان الكامل** هو النبي ﷺ، لكنه يتقمص في شخصيات عديدة حسب المكان والزمان، فيأتي في صورة مشايخ الصوفية ودراويشهم، وذلك يجب حسب عقيدة **الجيلي** ـ ومن يعتقد عقيدته ـ أن يتأدب الصوفي مع صاحب هذه الصورة المتقمصة كما يجب أن يتأدب مع النبي ﷺ نفسه[١]!

يقول **الجيلي** بشكل واضحٍ وصريح: (اعلم حفظك الله أن **الإنسان الكامل** هو **القطب** الذي تدور عليه أفلاك الوجود، من أوله إلىٰ آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلىٰ أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس، ويظهر في كنائس، فيسمىٰ باعتبار لباس، ولا يسمىٰ به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له **محمد**، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرىٰ أسام، **وله في كل زمان اسم يليق بلباسه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به ﷺ هو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولستُ أعلم أنه النبي ﷺ.. وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة**)[٢].

---

(١) انظر: «الفكر الصوفي»، يوسف زيدان (ص٨٤).
(٢) «الإنسان الكامل»، عبد الكريم الجيلي (٢/٤٦).

ثم يبيّن **عبد الكريم الجيلي** الموقف اللازم مع هذا التقمص، حيث يقول: (الأديب إذا رآه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه، وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا علىٰ الحقيقة المحمدية، **ألا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي** رضي الله عنه **قال الشبلي لتلميذه: أشهد أني رسول الله. وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه؛ فقال: أشهد أنك رسول الله. وهذا أمر غير منكور)**[1]!

ويتابع **الجيلي**، ويقول: (إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين **فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة علىٰ الحقيقة المحمدية، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد ﷺ**، لما أعطاك الكشف أن محمداً ﷺ متصور بتلك الصورة، **فلا يجوز** لك **بعد شهود محمد** ﷺ **فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل)**[2]!

---

(١) «الإنسان الكامل»، عبد الكريم الجيلي (٢/ ٤٦).

(٢) «الإنسان الكامل»، عبد الكريم الجيلي (٢/ ٤٦).
أقول: قارن بين ما ذكره الجيلي آنفاً وبين ما يقوله: (أفلوطين) حيث يقول ما نصه: (من أراد أن يرىٰ الإنسان الحق الأول فينبغي أن يكون خيراً فاضلاً، وأن يكون له حواسٌ قوية =

أما الصوفي **ابن قضيب البان** (ت١٠٤٠هـ) فإنه يقول تحت عنوان «**موقف مقام الخلافة**»: (أوقفني الحق علىٰ مقام الخلافة العظمىٰ، وقال لي: **أنت نُكتة الكون وحقيقة الوجود وبرزخ الغيب والشهادة**، وروح لامَيْ الملك والملكوت، وألف الجبروت، وهاء اللاهوت، وأنت سرُّ نقطة قِبْلة الجهات الغيبية والعينية)[1].

يقول **ابن قضيب البان** تحت عنوان (**موقف الإسراء**) وهو يحكي تفاصيل قصة الإسراء به ومقابلته الله تعالىٰ: (أوقفني الحق علىٰ بساط الإسراء المنيع، وكنت في حَرَم الافتقار للرؤيا بين النوم واليقظة ضجيعاً، فبينما أنا علىٰ تلك الحالة، **إذ جاءني الروحي ومعه براق الهمة السبوحي، فبادر بالسلام، وأفصح بالكلام، وقال: يا حبيب الحضرة، أنت المطلوب للمكالمة والاستماع، والمقصود**

= لا تنجس عند إشراق الأنوار الساطعة عليها، وذلك أن الإنسان الأول نور ساطع في جميع الحالات الإنسانية). «نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها وتصويرها الشعري»، هانز هينرش شيدر (ص٤٧).

(١) «المواقف الإلٰهية»، ابن قضيب البان، تحقيق: د. عبد الرحٰمن بدوي (ص١٧٤) ضمن كتاب «الإنسان الكامل في الإسلام»، للدكتور عبد الرحٰمن بدوي، وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية، الكويت ١٩٧٦م.

في هذه الليلة للاجتماع. . وإذا بذلك الحجاب قد رفع وأذن لي بدخوله، ولما دخلته رأيت الأنبياء صفوفاً صفوفاً ودونهم الملائكة، ورأيت أقربهم إلىٰ الحق أربعة أنبياء، ورأيت أولياء أمة محمد أقرب الناس إلىٰ محمد وهو أقرب الخلق إلىٰ الله تعالىٰ وأقرب إليه أربعة أولياء، فعرفتُ منهم السيد محيي الدين عبد القادر، وهو الذي تلقاني إلىٰ باب الحجاب وأخذ بعضدي حتىٰ دنوت من سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، فناولني يمينه فأخذته بكلتا يدي، فلا يزال يجذبني ويدنيني حتىٰ ما بقي بيني وبين ربي أحد، فلما حققت النظر في ربي رأيته علىٰ صورة النبي، إلا أنه كالثلج أشبه شيء أعرفه في الوجود من غير رداء ولا ثياب، ولما وضعتُ شفتيَّ علىٰ محل منه لأقبله أحسستُ ببرد كالثلج سبحانه وتعالىٰ فأردت أخر صعقاً، فمسكني سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، وأعادني إلىٰ ورائي، فعدتُ معه)[1].

ويقول ابن قضيب البان تحت عنوان (موقف القطبية) مبيناً مكانة القطب الصوفي، وأنَّ كنهه هو الحقيقة المحمدية، وأنَّ لكل عصر وزمان قطب خاص: (أوقفني الحق علىٰ بساط القطبية، وقال لي: الإنسان

(١) «المواقف الإلـٰهية»، ابن قضيب البان، تحقيق: د. عبد الرحـٰمن بدوي (ص١٦٤ و١٧١ ـ ١٧٢).

الكامل قطب الشأن الإلـٰهي، وغوث الآن الزماني. أول من أسلم له التصريف في قطر نفسه حتىٰ يبلغ أشده، ثم أسلم له ما وافقه من أقطار الأقاليم، ثم أسلم له الأرض، ثم يسلم له الملك، ثم يجمع له الملك والملكوت، وهذا هو النائب الرحماني.

وقال لي: القطب يعرفه كل شيء حتىٰ أهل الغيب وعالم المحال وأهل الأرض البيضاء، ويعرض عليه أحوال العوالم.

وقال لي: الكون كله صورة القطب، وأنا ذاته.

وقال لي: **القطب الفرد الواحد في كل زمان الحقيقة المحمدية، ولك زمان قطبٌ منها**[1].

ويقول **أيضاً** تحت عنوان (**موقف الحقيقة المحمدية**): (أوقفني الحق علىٰ مرتبة بيان **الحقيقة المحمدية**.. وقال لي رب الأرباب: **الاسم الأعظم وسر الحقيقة المحمدية هو سرُّ قلبك وقطبُ وجودك**[2].

لقد صدقَ المستشرق (**كارل هينرش بكر**) حينما قرَّرَ إنَّ الغنوصية قد أثرت في إيجاد الصورة التي صورتها العصور الوسطىٰ الإسلامية المتأخرة لنبينا ﷺ والتي فيها

---

(١) «المواقف الإلـٰهية» (ص١٨٩ ـ ١٩٠).

(٢) «المواقف الإلـٰهية» (ص١٩٥).

ما يشبه عبادته[1]، وأنَّ الصوفية بواسطة ذلك الغلو

---

(١) **أقول**: من تلك المظاهر ما يفعله الصوفية في كل سنة، حيث ابتدعوا ما يسمونه (**المولد النبوي**) وهو من العقائد التي وفدت إلىٰ المجتمعات الإسلامية من المسيحية، ونقلتها الباطنية، ثم تسربت إلىٰ الصوفية، وهذه الحقيقة يقر بها كل العقلاء. يقول المستشرق (**كارل هينرش بكر**): (من المؤكد أن الاحتفال بمولد النبي قد نشأ تحت تأثير مسيحي). «تراث الأوائل في الشرق والغرب»، كارل هينرش بكر (ص١٢).

وهذا الكلام صحيح، فإن هذا الاحتفال لا أصل له في الإسلام، وإنما دخل علىٰ الأمة الإسلامية من قبل الفاطميين بمصر، ثم ورثه عنهم الصوفية.

قال الإمام تاج الدين **عمر بن سالم اللخمي المشهور بالفاكهاني** رحمه الله: (**لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد** من **علماء الأمة**)، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة). «المورد في عمل المولد» (ص٢٠، ٢١).

وقال **تقي الدين المقريزي** تحت عنوان (**ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم**) ما نصه: (**كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم**، وهي موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، **ومولد النبي** ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومولد الحسن ومولد الحسين رضي الله عنهما، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه). «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (١/ ٤٩٠). =

= وقال مفتي الديار المصرية **محمد بن بخيت المطيعي**: (**مما أحدث وكثر السؤال عنه الموالد، فنقول: إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون، وأولهم المعز لدين الله**). «أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام» (ص٤٤).

وقال الصوفي المعاصر **يوسف الرفاعي**: (إن اجتماع الناس علىٰ سماع قصة المولد النبوي الشريف، **أمر استحدث بعد عصر النبوة، بل ما ظهر إلا في أوائل القرن السادس الهجري**). «الرد المحكم المنيع» (ص١٥٣).

وما أجمل ما بيّنه **الإمام أبو شامة**، حيث قال: (لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره، لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين، لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله علىٰ الجميع، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حباً لرسول الله ﷺ ومتابعة لشرعه ممن بعدهم.

وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ، فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه، وقد رددنا ذلك أيضاً إلىٰ سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه ﷺ.

فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ في أعيادهم، وبذلك يتضح لكل من له أدنىٰ بصيرة ورغبة في الحق وإنصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام؛ بل هو من البدع المحدثات التي أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ بتركها =

في النبي ﷺ، رفعوا أنفسهم إلىٰ مصاف الأرواح القدسية.

يقول المستشرق **(كارل هينرش بكر)**: (وهذه العبادة وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الإسلام الأول كل مخالفة.. حتىٰ إن محمداً وهو النموذج الأعلىٰ ينتهي بأن يصبح هو العقل الموجود منذ الأزل، وأن يكون الرحيم المخلص القدير، وعن طريق هذا المذهب انقلبت فكرة الوحي التي كانت موجودة في الإسلام الأول إلىٰ ضدها)[1].

وهكذا صار كل صوفيٍّ ينفخ ويغلو في وصف وتوصيف **(الحقيقة المحمدية)** أو **(الإنسان الكامل)** أو **القطب** وكلها مترادفات، ثم يرىٰ نفسه المستحقة لتلك الألقاب والأوصاف، وأنه قطب زمانه، وأنه خاتم الولاية المطلقة، وأنه الإنسان الكامل الذي يجب أن يتعامل معه الخلق وكأنه النبي ﷺ، فيشهدون له بالنبوة والرسالة، ويأخذون عنه، ويتأدبون معه تأدبهم مع نبيهم ﷺ!

= والحذر منها، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة ما يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وإنما يعرف بالأدلة الشرعية). «الباعث علىٰ إنكار البدع» (ص١٠٩ ـ ١١٠).

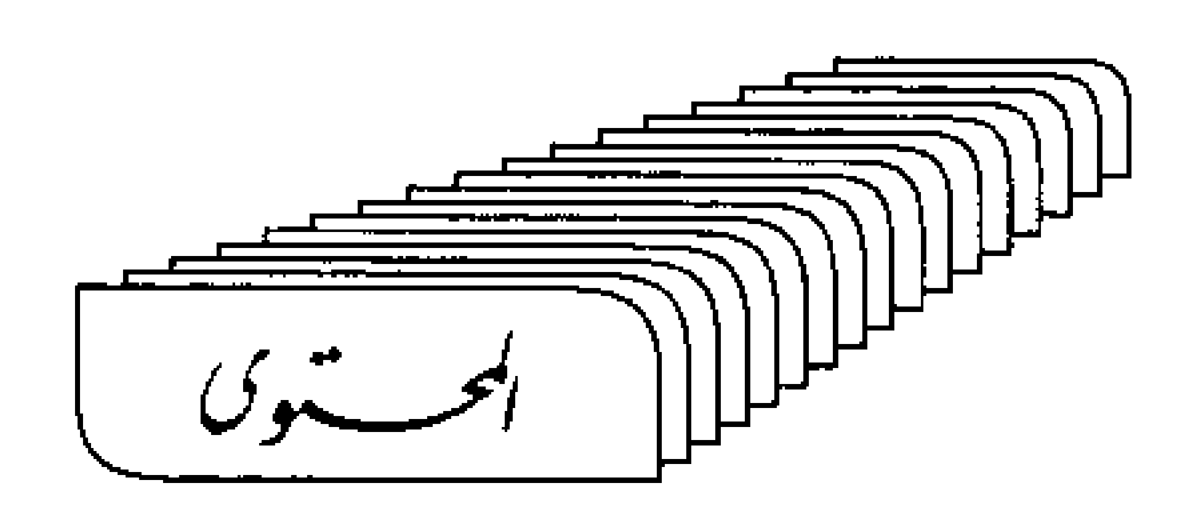
(١) «تراث الأوائل في الشرق والغرب»، كارل هينرش بكر (ص١٢).

أقول: أيُّ تعظيم وتوقير يدعيه هؤلاء الصوفية للنبي ﷺ؟ وهل نسبة إبليس والشياطين إلىٰ نفس النبي ﷺ من تكريمه؟ أو وضع صعاليك التصوف في نفس منزلته ﷺ من توقيره وتعظيمه؟!

وفي ختام هذه الوريقات، ظهر لنا كيف أن منشأ هذه العقيدة كان عند الأمة الكافرة السابقة، ثم كيف انتقل منهم إلىٰ الفرق الباطنية المارقة، وكانت الباطنية هي الجسر الذي عبرت من خلاله تلك العقيدة إلىٰ غلاة الصوفية الذين هم في حقيقتهم من الباطنية، كالحلاج وابن عربي، ومن الأخير سرىٰ في كتب المتصوفة المتأخرين.

وعرفنا السبب الحقيقي وراء تعظيم كبراءهم لهذه العقيدة، وأنها ليست محبة للنبي صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم، وإنما وسيلة لتعظيم أنفسهم ورفعها إلىٰ منزلة النبي ﷺ، والتي رفعوها إلىٰ منزلة الألوهية، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

أسأل الله العظيم أن يبصرنا الحق، ويوفقنا للعمل به، وإن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يوحد قلوب أمة محمد ﷺ علىٰ كلمة الحق وتوحيد رب العالمين، علىٰ عقيدة صافية نقية، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا ونبينا الختام عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.


المحتوى

